# وردة في الريح

رواية

عبدالغني الأهدل



# وردة في الريح

## بيانات رواية وردة في الريح:


- الرواية: وردة في الريح
- الكاتب: عبدالغني عبدالله الأهدل
- النوع: رواية
- مراجعة: رياض حَمّادي
- تحرير وتدقيق النص وتصدير الغلاف: رياض الحَمّادي
- لوحة الغلاف بالذكاء الاصطناعي: رياض الحَمّادي
- تنفيذ الغلاف: أمنية محمد
- إخراج داخلي: سليل الفراعنة
- سنة الإصدار: ٢٠٢٦
- الناشر: مؤسسة حزاوي للتنمية الثقافية، سبتمبر ٢٠٢٦
- رقم الإيداع في الهيئة العامة للكتاب، صنعاء: ٤٢٤ لسنة ٢٠٢٦.



فازت هذه الرواية بجائزة السرد اليمني (حَزاوي)، الدورة الرابعة ٢٠٢٥، برعاية بنك اليمن والكويت. والرواية متخيل أدبي ولا تُعبر بالضرورة عن رأي كاتبها ولا رأي الجائزة وممولها.



حقوق هذه الطبعة محفوظة لمؤسسة حزاوي للتنمية الثقافية وللمؤلف. يُسمح الاقتباس في حدود الدراسات والمقالات مع ضرورة الإحالة إلى اسم الكتاب والكاتب وناشره "مؤسسة حزاوي للتنمية الثقافية"، ما عدا ذلك من استعمالات يُرجع للناشر وللمؤلِف لأخذ إذن خطي.



YKB
بنك اليمن والكويت يُلهم المستقبل
YKB Inspiring the future
yk-bank.com

حزاوي
HAZAWI
جائزة السرد اليمني

(روايـــــــة)

# وردة في الريح

عبدالغني الأهدل

٢٠٢٦

YKB
بنك اليمن و الكويت يلهم المستقبل
YKB Inspiring the future
yk-bank.com

حزاوي
HAZAWI
جائزة السرد اليمني

# إهداء

إلى الأزهار...

والعواصف.

❊ ❊ ❊

"وفي حـــركات البرق للشوق آيةٌ

تدُل على ما جـــنَّهُ كل عاشـــقِ"

**محمود سامي البارودي**

❊ ❊ ❊

"الوردة تُخلق لتُزهِر، لا لتُثمر. جمالها في لحظتها، في عطرها العابر، وفي بهجتها التي لا تنتظر مقابلًا. أما الزهرة، فهي بدايةُ شيءٍ قادم، تُزهر لتُثمر، وتعد بما بعد الجمال: بالحياة، بالاستمرار، بالوعد الذي يكتمل. وبين الوردة والزهرة، يمتدّ الفارق بين الحبّ لذاته، والحبّ لما يُنتجه."

❊ ❊ ❊

# ١

إنها ليلة مقمرة بعد يومٍ مطير، من إحدى ليالي منتصف الشهر التي يكون ضوء القمر فيها في أشد سطوعه وجماله.

كلُّ شيءٍ واضحٌ على غير العادة. لقد مرّت عاصفةٌ ماطرة قويةٌ نقّت الهواء من الغبار، وضمّخت القرية برائحةٍ جديدةٍ، تشبه تلك التي يعرفها الحاج محمود منذ ستين عامًا، حين كان في ريعان شبابه. غسل المطرُ وجهَ الطبيعة، وتركها تلمع بصمتٍ تحت الضوء الفضي. وقد استراحت أغصان الأشجار، بعد أن قضت خمس ساعاتٍ تتمايل تحت وطأة العاصفة. وما تزال المياه في الوادي تركض بقوة، ويصل خريرها إلى كل أذنٍ في المناطق المحيطة. أمّا سمفونية الليل التي تعزفها الحشرات، فتنبعث من كل زاوية، يرافقها نقيق الضفادع في الحقول والمستنقعات الموحلة في الوادي.

حمارٌ ينهق في أحد المنازل البعيدة، كلبٌ ينبح، وصوتُ حيوانٍ غريبٍ يأتي من ناحية القرية المجاورة، حيث أخدودٌ مظلمٌ في الجبل لم يبلغه ضوء القمر.

يقف الحاج محمود على سطح منزله، يراقب الأفق. كان قد صلّى العشاء منذ دقائق، وما يزال الحصى عالقًا في جبهته، وسيبقى هناك حتى تجفّ جبهته تمامًا، ثم تسقط من تلقاء نفسها؛ إذ لا يحب أن ينفضها، لاعتقاده أنها حصًى مباركة.

يقف منتشـيًا في الركن، ويوشـك أن يفرد ذراعيه، مسـتمتعًا بنكهة الطبيعة الخلّابة الممتزجة بالهواء المنعش الذي يحمله النسيم من الشمال:

"الله الله، الحمد لله على هذه النعمة العظيمة المباركة."

في أطراف القرية، وبالقرب من الطريق المؤدية إلى الجبل، تقف شـجرةٌ كبيرة، ما تزال أغصـانها تهتز حتى اللحظة، كأنها عاجزةٌ عن السـيطرة على نفسها بعد أن رقصت لساعاتٍ تحت المطر. إنها في أوج شموخها، رغم أنه ما مرّت عاصفة في الوادي إلا ودفعتها إلى الاهتزاز.

في كل يومٍ من أيام الصيف الممطرة، يشاهدها سكّان القرية ترتعش بعنف، كأنها تكافح لحمايتهم من غضـب الطبيعة. لم تفقد أيًّا من أغصـانها؛ فهي دائمة النمو، حتى إن أوراقها يُخيَّل للناس أنها لا تتساقط في الخريف كسائر الأشجار. ولم يفكّر أحدٌ في قطع فروعها؛ فهي، إلى جانب تخفيفها من حدّة العواصـف القادمة من ناحية الوادي، تحميهم حتى في أوقات الهدوء و«الفَيْشة»، وهي المواسم التي لا ينزل فيها المطر.

إنها تحميهم، لا من العاصفة وحدها، بل من حرارة الشمس القاتلة أيضًا؛ إذ يسـتريح العمّال والفلاحون تحتها في الضـحى، ويتناولون «الصَّـبوح»، ثم يعودون إلى أعمالهم. وبعضـهم يعلّق «دبّة» الماء على أحد أغصـانها ليعود إليها لاحقًا فيجدها أكثر برودة، وآخرون يعلّقون أدوات العمل، كمحاريث وسلاسل ثيران وحبال حراثة وجرادل وغير ذلك.

في الليلة الماضية أيضًا هطل المطر. كان الحاج محمود يتقلّب على فراشه

حين شعر بزخّاته تتدافع من النافذة، فسارع إلى إغلاقها. وأثناء ذلك، لمح الشجرة وهي تواجه العاصفة بإصرارٍ كبير. كان الوقت متأخرًا، وكان يمكن أن تكون ليلةً مقمرة لولا الغيوم التي غطّت السماء، فزاد المشهد قتامةً وإثارةً للفزع.

كان وميض البرق يلمع من كل اتجاه، يعقبه هدير الرعد. وقد رأى شرارةً عظيمة تهبط من السماء حتى رأس الشجرة، أعقبها رعدٌ مخيف، فاندفع مسرعًا لإغلاق النافذة، وأسدَل الستائر، وأخذ يستغفر حتى انقضاء المطر. عندها استلقى على وسادةٍ وثيرة، غاص رأسه فيها، وأخلد إلى النوم.

وحين أشرقت الشمس صباحًا، كان الحاج محمود يقف إلى جانب الشجرة، متكئًا على عصاه الطويلة المعقوفة، يطوف حولها باهتمامٍ كبير، ليطمئن عليها ويرى حجم الضرر الذي خلّفته العاصفة الرعدية. وقد لاحظ أنها ما تزال شامخةً كالجبال، وأنه من الصعب أن تتضرر بسهولة.

لم يسقط منها شيء... سوى شالٍ صغير، طار من فتاةٍ كانت تقف على أحد الأسطح بعد أن غطت بالطرابيل بذور البن المجففة. تحمست الفتاة، فرفعت شالها في الهواء ليرفرف كرايةٍ عتيقة حتى خطفته الريح منها، وبطريقةٍ ما استقرّ على أعلى غصنٍ في الشجرة.

جلس الحاج محمود على صخرةٍ صغيرةٍ تحت الشجرة، وبينما كان يراقب نملةً صغيرةً تتسلّق الجذع السمين المتجعّد أمام عينيه، أخذ يستعيد الكثير من محطات حياته. يفعل ذلك منذ سنواتٍ طويلة؛ إذ إن كل التفاتةٍ نحو

الشـجرة أو أحد أغصـانها كانت تدفعه إلى سـيلٍ من الذكريات والتخيّلات العميقة.

ظلّ هناك وقتًا طويلًا، لولا أن أحد أحفاده جاءه وأخبره أنهم بانتظاره على طعام الإفطار. عندها تناول الشال الأحمر وربطه حول الجذع، ثم راح يتوكّأ على عصاه حتى وصل إلى البيت. وفي تلك الأثناء، كانت النملة الصغيرة قد قطعت مسافةً طويلة على الجذع.

مرّت عاصـفةٌ جديدة، وربما تكون قد أثّرت في الشـجرة. فكّر: لِمَ لا يأخذ مصباحه اليدوي ويذهب لتفقد الشجرة؟ يمكنه أن يتذرّع بأنه خرج ليطمئن على حال المزرعة بعد أن فاضت المياه من سفوح الجبل.

سـيعانق الشـجرة المبللة بحب، ويجلس تحتها كما لو كان يسـتظل من حرّ الشـمس. تُرى، هل ما يزال الشـال الأحمر مربوطًا حول خصـرها؟ أهذا ما يدعوها إلى الرقص؟

قبل عدة سـنوات، هبّت عاصـفةٌ عنيفة. كان البرق يلمع في الأفق، والرعد يزمجر بعنف. وبينما كان سـكّان القرية يختبئون في بيوتهم خلف نوافذ مغلقة، كانت امرأةٌ تواجه آلام المخاض في منزلٍ منعزل، لا يعلم بها أحد سوى زوجها، الذي جلس إلى جوارها ممسكًا بيدها، يواسيها ليخفف عنها الألم... والخوف.

جرت العادة أنه إذا تمخّضـت امرأةٌ في القرية، شـاع خبرها بين الجميع، من أقصى الوادي إلى أدناه. تنتقل الأخبار بين النساء والعجائز، وحتى الأطفال؛

فلا يكاد يمر يومٌ إلا وقد عرف الجميع:

"زوجة فلان ولدت، وأنجبت ولدًا يشبه القمر ليلة النصف."

وهكذا يتكرر القول نفسه كل مرة، ولا يتغير سوى الاسم.

"زوجة فلان ولدت وأنجبت ولدًا يشبه القمر ليلة النصف."

لكن زوجة حسن عبدالسميع كانت استثناءً؛ فلم يسمع بها أحد. يعود ذلك إلى منزلهم المنعزل على أطراف القرية، وإلى العاصفة التي طغت على كل شيء. أمّا حسن، فقد وقف عند باب المنزل لحظاتٍ، يفكّر في اقتحام العاصفة للوصول إلى العجوز مريم سعد، القابلة الوحيدة في القرية. وقبل أن يخطو، أوقفه صراخ زوجته، تستنجد به أن يبقى إلى جوارها.

اقترب الفجر، وانفرجت السماء شيئًا فشيئًا، وبدا القمر أكثر صفاءً من أي ليلةٍ مضت. أخذت العاصفة تبتعد، متنقلةً بين القرى والوديان والجبال، حتى لم يبقَ منها سوى دويٍّ بعيد، ووميضٍ خافتٍ يلمع في الأفق.

هدأ المطر، وظهر قمر منتصف الشهر، وفي الوقت نفسه هدأت سياط الألم التي كانت تجلد أم زهرة. وُلد طفلٌ "يشبه القمر ليلة النصف"... لكنه لم يكن ولدًا.

"لقد وضعتِ أنثى يا أم زهرة."

قالها وهو يحمل الطفلة بين ذراعيه، حامدًا الله على نجاتها ونجاة أمها. قطع الحبل السري، وكمَّده بخرقةٍ دافئة، ثم غسل الطفلة من أثر الولادة بماءٍ فاتر، ووضعها إلى جوار أمها، وانطلق إلى المسجد لصلاة الفجر.

كان كلما صـــادف رجلًا من أهل القرية، قصّ عليه ما حدث. وحين التقى والد زوجته خارج المسجد، بعد الصلاة، جذبه إليه وهمس في أذنه:

"أتدري يا عمي ماذا حدث الليلة؟ كانت السماء مظلمة، ثم أشرق القمر فجأة فأضاء كل شيء!"

قال عمه متعجبًا:

"ماذا تعني؟ لم أفهم."

اقترب منه أكثر وقال:

"زوجتي أنجبت بنتًا تشبه القمر."

خلافًا لحال رجال القرية، لم يخجل حســن لأن مولوده الأول أنثى. على العكس من ذلك؛ رأى أن السعادة قد اختارته وحده. وكان يومها أسعد من أي وقتٍ مضى... سعادة لم يختبرها إلا حين تزوج جميلة بعد أن عانى كثيرًا في سبيل زواجه منها.

❊ ❊ ❊

# ٢

كان غريبًا قادمًا من مكانٍ بعيد. زار الوادي ذات يومٍ مع فريقٍ من الخبراء للتخطيط لإنشاء طريقٍ لنقل البضائع القادمة من البحر. ولما لم يجدوا متّسعًا لذلك، غادروا إلى موقعٍ آخر، ومن هناك عادوا إلى المدينة.

كانت تلك أول مرةٍ يصل فيها إلى الريف، لكنها، بلا شك، لم تكن الأخيرة، خاصةً بعد أن ترك قلبه في أحد منعطفاته.

كان يسير نحو القرية برفقة مجموعة من رفاقه، في زيارة إلى منزل زعيم القبيلة، الشيخ مسعود جاد الحق، المكنّى بأبي عثمان. وفجأة، ظهرت أمامهم مجموعة من النساء يحملن قناني مياه فارغة في طريقهن لجلب الماء من الوادي. كانت تتقدمهن شابة في مقتبل العمر، تلف رأسها بشال طويل، وتقود قطيعًا من الحمير المحمّلة بقناني مياه بلاستيكية فارغة.

تنحوا عن الطريق حتى مرّت النساء، ثم عادوا إلى مسارهم، وأكملوا السير نحو القرية.

ظلّ يفكر في تلك الفتاة طوال اليوم، وقرر البقاء في الريف مدةً أطول. وقد حاول إقناع أصدقائه للبقاء معه، مستغلًا كرم الضيافة الذي عُرف به أهل القرية. اجتمع يومها ببعض السكّان في ديوان الشيخ، وراح يناقشهم بثقةٍ عن أساليب حياتهم. كانوا يجيبونه عن كل شيء، حتى أدقّ تفاصيل حياتهم الخاصة. فالقرى، بما فيها من بساطة، تفتح أبوابها للغريب؛ وقد وجدوا فيه

أملًا لمنفعةٍ محتملة. أمّا هو، فكان يسأل بدافعٍ آخر. تعرّف إلى المزارعين، وآلات الحراثة، والبذور والثمار، والحيوانات، ومصادر الرزق، وحتى أماكن الماء. وفي هذا السياق، سأل:

"رأيت نسوةً في الطريق يحملن أواني فارغة، إلى أين يذهبن؟"

أجاب أحد الأطفال، مشيرًا بيده نحو النافذة، حيث يرتفع جبلٌ عملاق يكتسي بالضباب:

"يذهبن إلى الوادي في أسفل الجبل ليجلبن الماء... وأنا أذهب أحيانًا، لكنه طريقٌ متعب، وحماري ضعيف."

ابتسم حسن، وسأل الطفل رجل آخر:

"ألا توجد نساء في بيتكم يذهبن بدلًا منك؟"

قال الطفل ببساطة:

"أمي كبرت، وأخواتي تزوجن، وأخي الصغير يخرج كل صباح ليجمع علف البقر، ثم يرعى الغنم."

هكذا هو حال القرية؛ تُزوَّج الفتيات مبكرًا، فلا غرابة أن تكون الفتاة التي رآها حسن عبدالسميع متزوجة.

تأمل المكان من حوله، وهو غارق في التفكير: فانوسٌ معلّق في الزاوية، ضوءه خافت بالكاد يتجاوز ذبالته. شعلةٌ صغيرة تتأرجح خلف الزجاج كأنها مهدٌ وديع. الجدار الطيني ممتلئ بالنتوءات، تصنع بقعًا من الظلال. نقوشٌ تشبه الأقواس قرب «الشاقوص» الذي تُعلَّق فيه «دبّة» ماء الشرب،

أسـطوانةٌ معدنية ملفوفة بقماشٍ خاكيٍّ رطب. أربعة أحزمةٍ مصـطفّة، كأنها مرتّبة حسـب الزمن. وفي زاويةٍ أخرى، كومة من المعاطف المتراكمة. أمّا السـقف، فمن جذوع أشـجارٍ مصـطفّة بعناية، تتدلّى من وسـطها سـلسـلةٌ طويلة، يتعلّق بها الفانوس، مصدر الضوء الوحيد في الغرفة.

في اليوم التالي، كانوا قد عزموا على السـفر، لكن شـيخ القرية أصـرّ على أن يتناولوا الغداء عنده. تفرّقوا في المزارع يتمشّـون، يشـاهدون أشـجار البن، والقمح، والشـعير، والبسـاتين القريبة من الوادي. أنصـتوا إلى خرير المياه وهي تنسـاب بين الصـخور، وتنحدر في أخدودٍ طويل يمتد بين الجبال. عصـافير تحلّق بعيدًا، ويمامٌ يغنّي بنشـوة بين الأشـجار، وأعشـاشٌ معلّقة في كل مكان.

جلس حسـن مع أحد رفاقه وفتى من أهل المنطقة تحت شـجرة مانجو غير مثمرة. أخذوا يرتشـفون «الشـاي» في أكوابٍ فخارية، ويتحدثون عن جمال الريف وبساطة أهله.

قال لرفيقه:

"يبدو أنني لن أسافر معكم صباح الغد!"

"لماذا؟ هل تنوي البقاء هنا؟"

"لا. فقط لبضعة أيام... لقد سئمت المدينة."

ابتسم رفيقه وهو يتلفّت حوله:

"حتى لو بقيت طويلًا، لا بأس. المكان يسـتحق... انظر، إنها جنة:

أشــجار، وماء، وهدوء. يمكنك أن تتزوج امرأةً من هنا وتعيش كأنك واحدٌ منهم."

صبّ الفتى ما تبقّى من الشاي في الإبريق بهدوء، وقال:

"لا مشكلة... لكنك ستتعب إن لم تكن لك مزرعة. هنا، يجب أن تكون رجلًا وفلاحًا حقيقيًا كي تعيش هنا."

ضحك حسن، وهو مستلقٍ على العشب، واضعًا يديه خلف رأسه:

"أن أكون رجلًا! وهل تراني لست كذلك؟"

في تلك اللحظة، مرّت الفتاة التي رآها بالأمس. كانت عائدة من جهة الوادي. تبعها بنظره طويلًا، حتى غابت بين الأشجار.

سأل: "برأيك... هل يمكن أن يزوّجوني هنا؟"

أجابه الفتى:

"أهل القرية لا يزوّجون الغرباء... إلا إذا وجدت واسطة."

"واسطة! ماذا تعني؟"

جمع الفتى أكواب الشاي الفارغة في صحنٍ صغير، وغطّاها بقطعة قماشٍ مزركشة، ووضعها إلى جانبه، ثم قال:

"أقصد أنه بإمكانك الاعتماد على شخصيةٍ كبيرةٍ يحترمها الجميع، لتساعدك في الخطبة والزواج."

كانت الفتاة التي مرّت للتو ترتدي غطاء رأسٍ مزينًا بالنقوش، مبتلًّا بماءٍ كان يتسرّب من الإناء الذي تحمله. وبينما كانوا في طريقهم إلى منزل الشيخ،

لمح حسن ذلك الغطاء نفسه، مزيّنًا بالنقوش ومبتلًّا بالماء، ملقىً على سورٍ قريبٍ من أحد المنازل القديمة المتهالكة.

قال للفتى:

"الله... ما أجمل هذا البيت، رغم بساطته!"

كانت هناك مساحةٌ صغيرة بجوار المنزل، تنبت فيها بعض الأعشاب والخضروات، وأزهارٌ لم يعرف أسماءها، رغم أنه قضى جزءًا من حياته يرعى أزهار والدته المزروعة في أصصٍ فخارية، في حديقةٍ صغيرة عند باب البيت. كان يعتني بها بين الحين والآخر، ويحاول حمايتها من الأمطار الغزيرة والعواصف.

لكن بعد وفاة والدته، إثر مرضٍ مزمن، دفنها في ذلك المكان ودفعه الحزن إلى إهمال الحديقة. ومع ذلك، نبتت الأزهار من جديد، وبقيت البقعة خضراء، كأنها ترفض الفقد.

أمام المنزل القديم، كانت بقرةٌ سمينة تأكل العلف، وفي زاويةٍ قريبة كومةٌ من أواني تخزين المياه؛ بعضها مكسور، وبعضها الآخر مفتوح، وقد امتلأ نصفه بالماء. وخلف المنزل، امتدّ حبلٌ طويل تتدلّى عليه ملابس نسائية بألوانٍ زاهية، كأنها أزهار.

توقّف نظره عند شالٍ طويلٍ يتدلّى قرب السور... لقد تعرّف إليه. كان الشال نفسه الذي رأى الفتاة ترتديه في المرة الأولى، حين لمحها تقود قطيعًا من الحمير المحمّلة بدِبَب المياه، في طريقها إلى ضفاف الوادي.

قال الفتى:

"هذا بيت علي سعيد. رجلٌ بسيط في القرية... لكن ما الذي أعجبك فيه؟ هناك بيوت في القرية أجمل منه!"

أجاب رفيقهما مبتسمًا:

"الجمال في القلوب يا صاحبي، لا في البيوت."

ثم التفت إلى حسن، وواصلوا طريقهم نحو منزل الشيخ أبي عثمان، حيث استقبلهم بذبيحةٍ سمينة اشتراها من امرأةٍ مسنّة من أهل القرية. سلمها ثمنها كاملًا، لكنها لم تقتنع بسهولة؛ إذ كانت تلك الشاة الوحيدة التي اعتقدت، لسنوات، أنها ستنجب توأمين في كل مرة. ومع ذلك، وافقت في النهاية، حين تذكّرت فضل الشيخ أبي عثمان عليها وعلى عائلتها.

❊ ❊ ❊

# ٣

في اليوم التالي، استعدّ حسن عبدالسميع للسفر إلى المدينة، برفقة اثنين من رفاقه. وقد رافقهم الفتى- الذي جلسوا معه تحت شجرة المانجو- حتى السوق الشعبي، حيث يجتمع أهالي القرى المجاورة. ومن هناك، واصلوا رحلتهم نحو المدينة.

طوال الطريق، لم يكفّ حسن عن الحديث مع رفيقيه حول فكرة الاستقرار في الريف. تخيل نفسه يستيقظ في الرابعة صباحًا، يصلّي الفجر، ثم يعلّق معوله على كتفه، ويشمّر عن ساعديه، وينطلق إلى الحقول.

هناك، سيجد العشب مبللًا بالندى، والعصافير تحلق بين الأشجار، والنحل والفراش حول الأزهار، والشمس تشرق من خلف الجبال والتلال، وبلمعان مياه النهر في الوادي، يكتمل جمال المشهد.

سيباشر عمله بحرث الأرض، وشقّ السواقي حول أشجار البن، سيرى الدخان يتصاعد من مداخن القرية، إعلانًا باستيقاظ الأمهات لإعداد الطعام لأبنائهن وأزواجهن، الذين تفرّقوا في الحقول منذ وقتٍ مبكّر. وحين يجهز الطعام ستتعالى نداءات الأطفال لآبائهم للعودة وتناول الإفطار... من بين تلك الأصوات، سيميز صوت طفله الصغير، مناديًا إياه بحب من خلف سور المنزل، أن الطعام الذي أعدّته أمّه أصبح جاهزًا.

❊ ❊ ❊

# ٤

يصـيح ديكٌ في أطراف القرية معلنًا بداية يوم جديد، يتنحنح رجلٌ مسـنّ، يقف على سـطح منزله المرتفع، ينبثق ضـوءٌ خافت من نـافذةٍ في الطرف الآخر، يستيقظ أحدهم ويشعل فانوسًا استعدادًا للذهاب إلى المسجد.

تتوالى الأصـوات تباعًا؛ امرأةٌ تضـع العلف لحمارها قبل ذهابه إلى الوادي، وتفرغ ما تبقّى من الماء في الآنية. بعضـهنّ يطحنّ الحبوب لإعداد الطعام، وأخرى تتفقد بقرتها الحامل بعد أن سـمعت حركةً في السـقيفة؛ قد تجدها ترضع عجلها، أو واقفةً في مكانها حيث تركتها البارحة.

يُؤذَّن للفجر، فيرتدّ صـدى التكبير في الأرجاء، ويرتطم بجدران الوادي. تمرّ خطواتٌ بطيئة في الحي؛ الجميع يعرفها. إنه الحاج محمد جمال، يأتي كل يوم من منزله البعيد ليصـلي في المسـجد. يطلّ أحدهم من النافذة، فيراه بعصاه الخيزرانية الطويلة... ثلاث خطوات كل بضع ثوانٍ: العصا، ثم قدماه، اليمنى... فاليُسرى.

وحين يبزغ الفجر، يمتلئ الحي بـالأطفـال، والطريق المؤديـة إلى الوادي بالنسـاء والدواب، وتمتلئ الحقول بالفلاحين. هذا يحفر سـاقيةً تحت أشجار المانجو والبرتقال، وذاك ينصب فزّاعةً لطرد الطيور، وآخر يقود ثوره إلى زاويةٍ خضراء في البستان، ويجمع له العلف. وهكذا تمضي الحياة.

وحين يأتي الليل، ينطفئ كل شـيءٍ تدريجيًا، وتبقى نحنحات وهمهمات

المسـنّين على أسـطح المنازل، لطرد أي لص قادم من مكان بعيد، ونباح الكلاب المتقطّع، وصوت بوم يعزف لحنًا حزينًا عند أطراف الوادي.

يـأوي الأطفـال إلى مفـارشـهم، والمتعبون إلى ملاجئهم، والأزواج إلى زوجاتهم، يرتمون في أحضانهن بهدوء... وينامون، حتى يطلع فجرٌ جديد.

❊ ❊ ❊

# ٥

بعد فترةٍ قصـيرة، رأوه قادمًا نحو القرية، كأنما يعود إلى موطنه بعد غيابٍ طويل. لم يكن متكلّفًا؛ يرتدي ملابس بسيطة، ولا يحمل شيئًا. نعم، لم يكن للأستاذ حسن عبدالسميع أحدٌ هنا ليحمل إليه الهدايا.

كان يسـير بهدوء كعابر سـبيل، يردّ التحية ويواصـل طريقه... لكنه توقّف مرتين.

الأولى أمام منزلٍ بسيط، كان قد وصفه يومًا بأنه جميل. لاحظ أن كل شيءٍ فيه بقي كما هو، سـوى أن ملابس الغسـيل اسـتُبدلت بأخرى جديدة، وأن المكان صـار أقل اخضـرارًا، باسـتثناء تلك البقعة الصـغيرة المليئة بالأزهار، التي بدت كأنها تغتسل بالماء.

ثم توقّف مرةً أخرى أمام منزل الشـيخ أبو عثمان. سـأل عنه، فأدخلوه. نظر إليه الناس باستغراب، وفي عيونهم سؤال:

"هل وافقت الحكومة على شقّ طريقٍ تجاري يمرّ بالقرية؟"

سألوه، لكنه لم يُجب. وسرعان ما عرفوا أنه لم يأتِ لهذا السبب. سألوه عن رفاقه، فاكتفى بهزّ كتفيه، كأنه لا يعرف عنهم شيئًا. إذن: "لماذا عاد؟"

لم يُفصـح عن شـيء. راح يسـألهم عن أحوالهم: المطر، الحقول، البذور، الحصـاد... ثم أخبرهم أن طريقًا تجاريًا يمرّ عبر السـوق، ومنه يصـل إلى البحر، وأن الفرصة باتت مواتية لإنشاء سوقٍ خاصة بالقرية، يمكنهم عبرها

جلب البضائع ونقلها على ظهور الدواب، تمهيدًا لشقّ طريقٍ يصل الوادي بوسط القرية.

استمعوا إليه دون نقاش. لم يسألوه كم سيبقى، ولا إن كان سيرحل قريبًا.

❊ ❊ ❊

# ٦

في السـاعة الرابعة صـباحًا، كان الحاج محمد جمال، كعادته، يسـير نحو المسجد. لكنه لم يكن هذه المرة وحده؛ كان يتحدث إلى شخصٍ ما. وحين أطلّ أحدهم من النافذة، رآهما يسيران في طرف الشارع.

قال حسن عبدالسميع:

"منذ متى وأنت تعيش هنا يا جدي؟"

أجابه بصوتٍ مبحوح، مرتجفٍ من البرد:

"منذ وُلدت."

"وبحكم هذه السنوات الطويلة... ما رأيك بحياة القرية؟"

كان حسن آنذاك في عنفوان شبابه، وقد جاء متلهفًا للعيش في الريف، يسعى إلى الانسـجام مع إيقاعه: ينام مبكرًا، ويسـتيقظ مبكرًا، يسـتظل بالأشـجار، ويمضي يومه بين الحقول؛ يقطف الثمار، ويساعد الفلاحين...

راح يخطّط مع كبار القرية لإنشـاء سـوقٍ محلية، ويسـاعدهم في تهيئة طريق الماشـية المؤدي إلى الوادي. كما شـجّعهم على تحسـين الأزقّة، وحفر السـواقي لتصـريف مياه الأمطار، حتى لا تتكوّن الأوحال وتتجمّع المياه الراكدة، فتكون بيئةً للأمراض التي تنقلها الحشرات في مواسم المطر.

سـاعدهم في تسـييج المزارع وصـنع الفزّاعات، حمايةً لها من الطيور والدواب، وتخفيفًا عنهم عناء الحراسة. حتى إن الراعي لم يعد يلازم قطيعه

طوال الوقت، بل يراقبه من بعيد. كما اقترح عليهم حلولًا لحفظ المياه، بحفر خزاناتٍ صغيرة قرب البيوت، وتغطيتها، وصنع «ميازيب» على الأسطح لتجميع مياه الأمطار.

كان ذلك كله، بالنسبة له، ثمن البقاء. ومع الوقت، أحبّه الناس وصاروا يعتمدون عليه ويطلبون مشورته. التفّ حوله الشباب، يناقشونه في شؤونهم: الزواج، وتربية الأبناء، وبناء البيوت، والتخطيط للمستقبل. وكثيرًا ما أصرّ بعضهم على استضافته، طلبًا لنصيحته، حتى ازدحمت أيامه بدعوات الغداء أو المقيل، وبات يبيت عند بعضهم دون حرج.

في أحد الأيام، شاهدوه يتردد على بيت أحد فقراء القرية، وهو نجّارٌ ماهر، يجمع بين أكثر من حرفة. كان حسن يعرف بيته منذ زيارته الأولى، لكن تكرار الزيارة أثار التساؤل. وحين سألوه، قال ببساطة:

"أريد أن أتعلم النجارة."

لم تمضِ أيامٌ حتى استطاع أن يصنع محراثًا متقنًا يجرّه ثورٌ واحد بدلًا من ثورين. وحين نجحت التجربة، أخذ يصنع محاريث أخرى ويبيعها بأسعارٍ زهيدة. ولم يتوقف عند ذلك؛ بل أتقن تقليم الخشب وصقله، واستخدمه في تطوير أدواتٍ أخرى: معاصر الزيت، وآلات الحفر، وطواحين الحبوب.

وبعد مكوثه في القرية مدة ليست بالقصيرة في بيت شيخ القرية، الذي كان يعامله كوالده، طلب منه أن يرافقه إلى منزل علي سعيد لخطبة ابنته.

قال الشيخ، وهو يرفع فنجان القهوة ويرتشف منه:

"أمتأكد أنك تريد خطبة ابنة النجار؟"

"نعم... هل في الأمر مشكلة؟"

"لا، أبدًا. لكنني أظن أنك لا تعرف ذلك الرجل"!

"هو رجل طيب."

توقّف الشيخ لحظة، وأخذ رشفةً أخرى، ثم قال ببطء:

"هو طيب... وبناته جميلات... لكن سيرتهم ليست كما تظن"!

❊ ❊ ❊

# ٧

كان ذلك قبل زمنٍ طويل، حين هربت فتاةٌ من القرية مع شـــاب فقير. في البداية، تقدّم لخطبتها وفق التقاليد، لكنهم رفضـــوه. مارس أهل القرية ضغوطًا شديدة على والد الفتاة، كي يرفض الزواج، أو على الأقل يعقّده.

كان الأب ميّالًا إلى القبول، لكن خوفه من الناس غلبه. أصـــبح الأمر مســـتحيلًا... مرّت عاصـــفة في القرية، ذبلت الأزهار، وخفتت الأشـــياء المشـــرقة. وحين أوشـــك كل شـــيءٍ على الانطفاء، اختفت الفتاة... واختفى الشاب.

انطلق القرويون في الوديان والجبال بحثًا عنهما. وحين ظنّ الجميع أن القصـــة انتهت، وجدوا خلف ســـور منزل الفتاة زهرةً غريبة: جميلة، ذات رائحةٍ نفّاذة، مغروسة في الطين، تحيط بها ساقيةٌ صغيرة تمتلئ بالماء... كان ذلك في أشدّ أيام الجفاف.

لم يكن حســـن عبدالســـميع يعرف شـــيئًا عن تلك الزهرة. لكنه، حين ســـمع قصة الهروب، بدأ يتقصّى، وجمع الكثير من الروايات.

كانت زهرةً لا تشـــبه ما كانت الفتاة تزرعه في حوش المنزل. حتى العجائز، ممن خبروا الأعشاب والنباتات، لم يتعرّفوا إليها.

قال بعضهم: إنها زهرةٌ سامة، تأكلها الثعابين.

وقال آخرون: إنها ملعونة، تسكنها الجن، وتفتن الشباب.

أما قلةٌ، فمالت إلى رواية الشاب الهارب، وقالت: إنها زهرةٌ تبعث الشغف، وتداوي القلوب من عللها. وحين سُئلوا، ذكروا أنهم رأوا زهرةً شبيهة معه؛ كان يخفيها في صدره، ولا تفضحه إلا رائحتها النفّاذة.

لكن ذلك لم يشفع لها. استقر رأي القرية في النهاية: إنها زهرةٌ ملعونة، تسحر الشباب.

"أكيد سحرها بهذه الزهرة..."

قالت عجوز، وهي تجلس مع حسن تحت ظلّ أحد المنازل، تعبث بعصاها وترسم على التراب خطوطًا لولبية. ثم أضافت بأسى:

"للأسف... كانت أجمل فتاة في المنطقة."

سألها حسن:

"ولماذا لم يخطبها أحد من أهل القرية؟"

نظرت إلى شجرةٍ تتمايل أغصانها بهدوء، وقالت:

"لم يُتح لأحد أن يخطبها. ما إن بدأت تكبر... حتى طارت، كفراشةٍ ما إن تنبت لها جناحان."

تقول الحكايات إن "أنسام" تركت تلك الزهرة خلف السور. نمت بسرعةٍ غريبة، وامتدّت لها فروع وأغصان، حتى كادت تصير شجرة. لكن والدها اقتلعها قبل أن تشتدّ، خوفًا من أن يقول الناس إنه يحتفظ بشجرة عشيق ابنته.

صنع من جذعها عصًا طويلة، ظلّ يتوكّأ عليها في طرقات القرية. أمّا ما بقي

في الأرض، فكان يورق كل مرة، فتسارع العائلة إلى اقتلاعه قبل أن يكبر.
مرّت السنوات. مات الأب، فوضعوا عصاه بين أخشاب سقف المنزل.
تآكل السقف كلّه... وبقيت العصا.
حين زار حسن منزل علي سعيد، رآها هناك. كان السقف قد جُدّد بالكامل؛ أخشابٌ جديدة، صلبة، صفراء لامعة... إلا تلك العصا، صغيرةً باهتة، بلونٍ بنيٍّ كأن عمرها قرن كامل.
كان السقف واطئًا، اقترب منها، ومدّ يده يتحسّسها:
"غريب يا خالي... جددت السقف كلّه، وتركت هذه الخشبة؟"
أجابه علي، وهو ينظر إليها بمحبة:
"أعطيتها حقّها... هذه وحدها منعت السقف أن يسقط علينا."
ابتسم حسن بدهشة:
"على الأقل، جازِها ودعها تستريح."
قال علي، وهو يمرّر يده عليها:
"الراحة تعبٌ لها يا بني... وليس لها مكانٌ أأمن من السقف."

❊ ❊ ❊

# ٨

كان عبدالسميع النجم شابًا بسيطًا، ضعيف البنية، ضئيلًا إلى حدٍ لا يقوى معه حتى على مقاتلة فراشة. في ذلك اليوم، نام في المسجد حتى لاح الفجر من وراء الأفق. أذّن نيابةً عن الإمام الذي توفي منذ شهر بمرضٍ عضال، ثم صلّى وحيدًا إلى جوار المنبر.

بعدها، جمع أغراضه وانطلق نحو أطراف القرية. كان يجري في الشارع كظلٍّ عابر. سمعته أم أحمد، العجوز التي لا تنام، ورآه أبو الفضل من على سطح منزله. لكن أحدًا لم يتمكّن من تبيّن وجهه. كانوا يعرفونه دائمًا ذاهبًا إلى المسجد فجرًا، متأخرًا في العودة... أما هذه المرة، فقد عاد مبكرًا، ولم يسأل أحد لماذا.

توقّف خلف السور بصمت. لم ينتظر طويلًا. خرجت فتاةٌ بسيطة، متوسطة الجمال. كان الجفاف ينهش القرية، والجميع يعرف أنها تستيقظ باكرًا لتجلب الماء من الوادي.

رأت ظلّه، اقتربت. أخرج زهرةً كان يخفيها في صدره، ووضعها بين كفّيها.

سألته:

"إلى أين ستذهب؟"

قال هامسًا:

"سأسافر إلى المدينة... تعبت من هذا العالم. لا يبدو أن لي حظًا هنا."

قالت بصوتٍ خافت:

"ولا نحن."

كان صوتها خافتًا جدًا، وكأنه يأتي من مكانٍ بعيد.

قال لها:

"أنتِ امرأة، تستطيعين أن تعيشي هنا بأمان."

"لا أستطيع."

"ماذا تعنين؟"

"سأمضي معك!"

"إلى أين؟"

"لا أدري، المهم أن أكون معك."

في ذلك اليوم شاهدها هناك، أخوها النائم في الحجرة على سريرٍ خشبي مشبّك بالخزف. كانت منحنية، تصب الماء على شيءٍ ما في الأرض، هناك وراء السور. نَهَر البعوض المتجمع حول وجهه، وقلب رأسه إلى الجانب الآخر، حتى صار وجهه مقابلًا للجدار. استغرب، بعد مرور كل هذا الوقت، كيف أنه لم يشاهد الظل الغريب الواقف وراء السور! ثم إنه لا ينكر أنه سمع بعض الهمس، ولكن أخته دائمًا تزورها صديقة لها في مثل تلك الساعة، ومن هناك ترافقها إلى الوادي.

هذه هي القصة، حين وافق عبدالسميع النجم على مغادرة القرية برفقة أنسام، قالت له: "انتظر قليلًا!" ثم أخذت الزهرة وغرستها على الأرض،

حفرت بأناملها دائرة صـغيرة حول الزهرة وصـبت بعض الماء المتبقي في الإناء. تُرى فيمَ كانت تفكر حينما فعلت ذلك!

مع شروق الشمس، تسلّل الضوء إلى الغرفة، ولامس ظهر أخيها، فاستيقظ. جلس مرتبكًا، يستعيذ من الشيطان، وقد طبعت أخشاب السرير خطوطها على جلده. نهض، وغسل وجهه بماء القدر، رغم أن أخته كانت تمنعه من ذلك دائمًا؛ بحجة أن الماء يُستخدم للطبخ.

تفحّص المكان... فلم يجدها.

سأل نفسه: "لماذا تأخرَت في الوادي؟!"

تخيل أنها لا يمكن أن تتأخر إلا إذا مرت سائلة في الوادي وطمرت أثر العين التي يردون منها، ثم أدرك أنها لم تمطر الليلة الماضية. ناداها:

"أنسام.. يا أنسام.. بنت.. أين الفطور؟"

نظر من فتحة مطلة على حوش المنزل، شاهد الأواني فارغة على الأرض، وفي الزاوية الأخرى كان الحمار ببردعة ناشفة يشم غصنًا أخضر مغروسًا خلف السور.

كانت كارثة بالنسبة للجميع. لم يهدأ البحث. امتلأ الوادي بالناس، والجبال بالمصابيح. فتّشوا تحت كل شجرة، وحول كل حجر. امتدّ السؤال إلى القرى المجاورة، وتناقل الناس أوصاف العاشقين... دون جدوى.

بعد أشهر، قالت عجوزٌ متنقلة تبيع ملابس الأطفال إنها صادفت زوجين في طريق السوق المؤدي إلى المدينة. ساعداها، وكانا في غاية اللطف. ثم

أخرجت زهرةً من صدرها، انتشرت رائحتها في المكان، وقالت:

"هذا ما بقي منهما."

لم يكن أحد يتوقع قصة كهذه. أنسام، ابنة الحاج سعيد، كانت فتاةً حسنة السيرة، وعبدالسميع شاب خجول، ضعيف الحضور، لا يبدو قادرًا على تحدي القرية وتلطيخ سمعتها.

كان قد خطبها مرارًا. توسّل، وانتظر، وعمل في أرض والدها دون مقابل.

كسب محبتهم... لكنه خسر أمام سلطة العرف.

كاد يستسلم... لكن الحب كان أقوى.

❊ ❊ ❊

# ٩

نشأ عبدالسميع يتيمًا. مات والده في وباءٍ ضرب القرية. عاش مع أمه في بيتٍ واهٍ يتسـرّب منه المطر. كانا يلجآن إلى بيت الجد كلما اشـتدّ المطر، ثم يعودان حين تهدأ السماء.

اشـترت أمه بعض الأغنام. كان يرعاها في الجبال، وأحيانًا تتسـلل إلى مزارع الآخرين، فيشـتكونه. بعضـهم كان يحبس الأغنام حتى تأتي والدته، ولأنها لا تملك المال، كانت تعوّضهم بعملها في الحقول.

كان الرجال هم الذين يعملون في الحقول أما النسـاء فيعملن في المنازل، إلا أنها اضطرت أكثر من مرة للقيام بالعكس.

في ليلـةٍ ممطرة، غمرت الميـاه بيتهم. حـاولا دفعهـا بـأواني المطبخ، دون جدوى. حاولا مغادرة المنزل والنزوح إلى منزل جده كالعادة، ولكن المياه الغزيرة جرفـت الطريق وراحـت تجر الحجر والشـجر في طريقهـا نـاحيـة الوادي. لم يسـتطيعا القيام بأي شـيء، فبقيا جالسـين على دكّةٍ صـغيرة، يرتجفان حتى الصباح.

مع أول ضـوء، بدا كل شـيء لامعًا... وخرابًا. خرج الناس إلى الحقول يتفقدون أراضيهم؛ انكشفت جذور الأشجار... تسلل ضوء الشمس- من سـقف الغرفة المنهار- إلى أرضـية المنزل، انعكس الضـوء المتموّج على الجدران... الأدوات مرمية هنا وهناك، ملطخة بالوحل، الأواني المعدنية

التي حاولا عبدالسميع ووالدته أن يجرفا بها المياه عن بقعة نومهما طوال الليل، الملابس غارقة في الماء... بدا خطٌ طويل من التراب والوحل يمتد من «كوّة» الغرفة حيث الفتحة الصغيرة التي تضع فيها والدة عبدالسميع أدواتها الخاصة من الكحل والخِضاب والمشاقر الجافة.

أخذت أم عبدالسميع تنظّف غرفة الأغنام. باتت الحيوانات واقفة، سمعتها وهي تثغو أكثر من مرة، لكن لم تستطع فعل أي شيء لها. كل ما في الأمر أنها أحدثت فتحة صغيرة أسفل باب الحظيرة لتتسرب المياه خارجها. أخرجت المفارش والأدوات ووضعتها على أكوام الحطب في حوش المنزل كي تجف، تناولت قطعة خبز جافة ناولت معظمها لعبدالسميع. نظرا باتجاه الوادي. لم يتهدم أي منزل ولكن المياه تسربت في كل سقوف القرية. النساء على السطوح يجففن المفارش والملابس، أحدهم أخرج كيس الحبوب الذي يحتفظ به منذ عامين، بسطه على فرش في سطح المنزل، وجده قد امتلأ بالحشرات والدود، بعض الحبوب نبتت لها جذور، يبدو أنه قد غرق أكثر من مرة. قالت امرأة عجوز:

"رزق الحارم للظالم."

سمعها بوضوح، وضع مؤخرته على ركنٍ بارد وأخذ يحرس الحبوب من الطيور!

في قرية مجاورة، انهار بيت كبير بمن فيه، وفقدت عائلة تتكون من سبعة أشخاص، بقي المنزل ركامًا على الأرض، ونبتت الأزهار والأعشاب في المكان.

أغلب الأسـطح الترابية صـارت مسـاحاتٍ خضـراء تمتلئ بالعشـب. على سـطح بيتهم، نبت العشـب أيضًـا. جزَّته أم عبدالسـميع، وقدّمته للأغنام. جمعت الأخشـاب والحطب، رمّمت السـقف، وسـاعدها أهل القرية. عاد البيت أصلب مما كان... لكنها استسلمت للمرض.

❊ ❊ ❊

# ١٠

بقي عبدالسميع يرعى والدته ويدير شؤون المنزل. كان يعمل في الحقول ليؤمّن ما يكفيهما، ولم يكن قد تجاوز السادسة عشرة. في الصباح، يتناول الإفطار معها، ثم يأخذ أغنامه وينطلق إلى الجبل. أحيانًا يسلّمها إلى بعض الرعاة، ويذهب للعمل في أحد الحقول القريبة.

وحين يفرغ، يبقى بالقرب من والدته، أو يلوذ بشجرةٍ قرب المدرّجات المنحدرة إلى أسفل الجبل، يعزف نايًا حزينًا.

قالت له عجوز يومًا:

"بهذه الألحان تجلب لنفسك ولنا الفأل السيئ."

فتوقّف عن العزف.

اشتدّ المرض بوالدته. كانت زوجة عمّه المرأة الوحيدة التي تطهو لهما، وأحيانًا لا تأتي. صار يعجن القمح بنفسه، ويحمله إلى بيوت القرية. يطرق الأبواب، ينادي باسم كبير البيت، فإذا فُتح له، قدّم الإناء وقال بصيغة الجمع:

"هل يمكن أن تخبزوا لنا؟"

أحيانًا يُردّ بحجة أنه "لا يوجد حطب"، أو أي عذر آخر، فأصبح يحمل معه الحطب، ويشتري أعواد الثقاب. لم يترك لأحدٍ عذرًا.

بعد شهرٍ كامل، وفي ليلةٍ هادئة، تلاشت أمّه. كان جالسًا إلى جوارها حين

خفتت أنفاسها... وانطفأ الفانوس في اللحظة نفسها. مرّت نسمة باردة في الغرفة. سقط صحنٌ من الرفّ، فدوّى صوته. غيمةٌ عابرة حجبت القمر، فخفت الضوء.

دخلت الحاجّة سعدى، وأشعلت الفانوس من جديد. نظرت إلى الجسد المسجّى، وقالت:

"إنّا لله وإنّا إليه راجعون."

لم يقل عبدالسميع شيئًا. لم تسقط دمعة. التفت نحو الجبل. كانت الشجرة القريبة من النافذة تهتزّ بهدوء. انقشعت الغيمة، ولمع شيءٌ في أسفل الوادي... ربما ماء.

جبلٌ صامت أمامه، وصوت بومٍ يأتي من بعيد. تذكّر ما قيل له يومًا: إن صوت البوم نذير سوء. صدّق الخرافة... وتمنّى لو يفتك بالطائر.

❊ ❊ ❊

# ١١

بقي في البيت، عاجزًا عن الهرب من وحشة تخنقه. أطيافٌ تتجوّل في الزوايا، وغيابٌ يملأ المكان. كان ينام، ويخال أن أمّه ما تزال هناك، كأن شيئًا لم يحدث.

عاد إلى الناي، يعزف تحت شجرةٍ وارفة في مزرعة قريبة. يتردّد الصدى في الجبل. وكان يتخيّلها توقظه عند الفجر، تطلب منه أن يذهب ليقطف الخضار للإفطار... أحيانًا كانت تفعل ذلك بنفسها، وأحيانًا تحتاجه.

كانت الحاجة سعدى امرأة بسيطة، طيّبة، رغم كبر سنها ومرضها. قبل وفاة أم عبدالسميع، لازمتهما، سهرت إلى جوارها، واهتمّت بالبيت والماشية.

بعد أيامٍ من الوفاة، جاءت بصندوقٍ خشبي صغير. وضعته بين يديه، وقالت:

"أمك كانت تحافظ على هذا الصندوق، وقالت لي: إن حدث لي شيء، أعطه لعبدالسميع."

ثم أخذت عكازها ومضت نحو الباب وهي تحمل على كتفها صرة صغيرة فيها بعض حاجياتها. التفتت إليه وقالت:

"أسأل الله أن يعوّضك خيرًا... وأن تعيش سعيدًا."

خرجت، وابتلعها المنعطف. ظلّ يسمع وقع عصاها حتى تلاشى.

ساد الصمت.

فتح الصندوق.

كانت أمّه تخبره دائمًا أنها تخبّئ له شـيئًا لزواجه... لكنه لم يتوقّع أن يجد جهاز عرسها.

نظر إلى الصـندوق بصـمت، أعاد تقليب ما في الصـندوق من جديد. كانت أشـياء بسـيطة: علبة كحل صـغيرة مزخرفة، مرآة مكسـورة إلى ثماني قطع، عصابة رأس نسائية، رسالة حب مهترئة بحروفٍ مقطعة- من المؤكد أنها لم تقرأها؛ فهي لا تجيد القراءة- وثلاثة أغصانٍ جافة... كانت، يومًا ما، أزهارًا. تأمّلها طويلًا. قرّبها من أنفه، واسـتنشـق رائحتها بعمق... كانت كما لو أنها قطفت البارحة، حدق فيها قليلًا ثم وضعها في الصندوق.

❊ ❊ ❊

# ١٢

لم يكن والده أقلَّ من سكّان القرية نسبًا، لكنه كان يختلف عنهم في أشياء كثيرة. لم يكن سيئًا، ومع ذلك كانوا يمقتونه دائمًا. كان شابًا عاديًا حين تقدّم لخطبة والدته؛ فرض إخوةُ زوجته عليه مهرًا كبيرًا، فدفعه كاملًا. كان يحب زوجته، وعمل كثيرًا من أجل إسعادها.

ذات يومٍ سافر بعيدًا، وتعرّف إلى بعض الرفاق، واجتازوا البحار. وبعد مرور عامٍ عاد إلى القرية. كان معه بعض المال؛ دفع جزءًا منه مهرًا للمرأة التي أحبها، وأنفق الباقي في تأسيس منزلٍ بسيط يطل على القرية. وإلى جانب ذلك، عاد بباقة أزهار غريبة، ذات رائحة نفّاذة، احتفظت بها أم عبدالسميع في صندوقٍ خشبي. وعدها ألّا يتركها مهما حدث، لكن عندما غزا القريةَ مرضٌ فتّاك، كان هو أول الراحلين. قال بعضهم إنه لم يمت بسبب المرض، إذ كان يملك جسدًا قويًا ومناعةً جيدة. وقال أحد الحكماء إن الرجل مات بسبب لسع حشراتٍ مميتة في بلادٍ بعيدة وراء البحار والأنهار. لا بدّ أن المسكين خاض مغامرةً خطيرة في الطبيعة، ولكن من أجل ماذا؟

أراد عبدالسميع أن يمنح الباقة حقها الكامل من الحب، فدفنها في الصندوق نفسه بجانب قبر والدته. كانت الأرض طينية، فرشّ الماء في المكان، ثم عاد إلى البيت. كانت الأمطار تهطل بشكلٍ متقطّع في المنطقة، وكان العمال

ينتشرون في المزارع كل صباح. استصلح الفلاحون أراضيَ جديدة للزراعة، وغرسوا البنّ والفواكه والخضار. ضاقت المراعي، فباع بعض القرويين ماشيتهم من الغنم واستبدلوها بالأبقار؛ فالأبقار تأكل العلف والحشائش الجافة وبعض الأشجار. كان بعضهم يربط بقرته في أي مساحة تمتلئ بالعشب في المزرعة، يتركها بضع ساعات، ثم يعود إليها، فينقلها أو يأخذها إلى المنزل، ويسقيها ويربطها إلى وتدٍ في الحوش.

كان عبدالسميع قد قرر بيع الأغنام؛ ففي المزرعة لم يجد حتى مكانًا يضعها فيه، وكانت تتقاتل مع أغنام الآخرين. سمع إحداهن تصرخ:

«الجرب هذه كسرت قرن غنمتي!».

استدعى رجلًا من القرية المجاورة يُقال له «المَجلَبي». باعه الأغنام بثمنٍ بخس. ساعده الرجل في سحبها حتى منتصف الطريق، بعدها استسلمت الأغنام لمالكها الجديد وراحت تمشي كأنها راضية. ظلت تثغو... حتى غابت تمامًا. بقي ثغاؤها يرنّ في أذنيه. ولكي يتخلص منه جلس على منحدرٍ يطل على الوادي، وراح يعزف الناي. لكن ثغاء أغنامه بقي في أذنيه...

في إحدى المرات سمعها تثغو بشكلٍ صاخب، ففزعت والدته من النوم، وأجفلت وهي ترفع ضوء الفانوس. انطلقا إلى سقيفة الغنم، فوجدَا أحد الصغار الرضّع يتقلب على الأرض. لمحا ثعبانًا ضخمًا يغادر المكان ويدخل جحرًا في الجدار. كانت أم الجدي الصغير تجول في المكان وقد انقطع قيدها من فرط الاضطراب، اقتربت من صغيرها الذي شُلّت حركته،

وراحت تشمّه بصمت وتصدر مأمأةً هادئة.

سحبا الجدي الميت ودفناه بعيدًا عن المنزل. بقيت أمّه تبحث عنه في كل مكان وتضطرب بشدة، وفي أثناء ذلك أخذ ثدياها ينتفخان ويمتلئان بالحليب.

بعد أيام، زار عبدالسميع قبر والدته، كما اعتاد. يجلس هناك وقتًا طويلًا، يرش الماء ويقرأ الفاتحة مرات عدة، وأحيانًا يعزف الناي. تفاجأ في ذلك الصباح بوجود عشبٍ كثيف بدأ ينمو في المكان. تمتم بالفاتحة وجلس بصمت، ثم نظر نحو كومة التراب حيث دُفن الصندوق، فوجد أزهارًا غريبة تنمو هناك. زار المكان أكثر من مرة، فوجدها تكبر. قطف زهرة وقرّبها من أنفه... إنها الرائحة نفسها. فتح الصندوق، فوجد جذورًا كثيرة تتسلل من شقوقه وتمتد في التربة الجافة. أعاد الصندوق إلى مكانه، ورشّ الماء.

في إحدى المرات لم يجد تلك الباقة من الأزهار؛ كان الرعاة يسوقون ماشيتهم بالقرب من المقبرة. وجد البتلات مبعثرة في المكان، ففتح الصندوق وأخذ ما تبقّى من الجذور، ثم ذهب إلى المنزل، وحفر مساحةً صغيرة وراء الجدار ودفنها هناك، وسقى المكان بالماء، فنبتت الأزهار من جديد...

بعد أن باع الأغنام، ظل عبدالسميع يتنقّل في القرى بحريةٍ أكبر، يعمل في المزارع والحقول ويدخر المال للأيام القادمة. كان قد أُعجب بفتاة تعيش في أطراف القرية، فجمع ما يكفي من المال وتقدّم لخطبتها. كان الجميع

يحترمه إلى حدٍ كبير، ولم يتوقع أن يواجه المتاعب يومًا. كل ما في الأمر أنه وقع في حبها لما سمعه عنها من المديح بين سكّان القرية. أرادها أن تكون جزءًا من حياته. طرق الباب مرات عدة، ولم يحاول التسلل من وراء النوافذ، لكن الحياة كان لها رأي آخر...

في القرية، سمع كثيرين يتحدثون عنها وعن رغبتهم في خطبتها، وقد سبقهم إليها جميعًا: مسعود محمد، الستيني الذي تزوّج مرات من قبل، وأرادها خاتمةً لحياته. قال لصديق له:

«عشت حياتي أجمع الرِّمم، ولأول مرة أشعر أنني أختار بصدقٍ واهتمام».

سميح عمّار، أعزب منذ ولدته أمه، في الرابعة والثلاثين من عمره، قضى حياته ينتقي النساء: هذه قبيحة، وتلك ضئيلة، وأخرى لا تمشي بشكل مناسب، وهذه فيها ندبة في الرأس. الفتاة الوحيدة التي قبل بها قال عنها، وهو يضحك بين ثلة من متسكعي القرية:

«كنت أريدها للرقص والغناء!».

أما العشريني عبدالرؤوف، فعندما أراد خطبتها سأل بثقة:

«هل تعرف كيف تعدّ القحيز؟».

وحين حصل على الإجابة، اكتملت مواصفات الجمال لديه. وأما خالد، فأرادها للاهتمام بالمزرعة، ونور الدين، الثلاثيني الأرمل، أرادها للاهتمام بطفليه اللذين أخذهما من زوجته التي طلّقها مبكرًا وأعادها إلى بيت أهلها

في قريةٍ بعيدة.

كان عبدالسميع الوحيد الذي أرادها زوجةً محبة تؤنس وحدته وتساعده في مواجهة ليالي القرية الموحشة بعد وفاة والدته. لكنه قوبل بالرفض، لا من والد الفتاة وحده، بل من القرويين جميعًا ممن يعرفهم ويعرفونه ويكنّون له الاحترام.

اجتمع الحاج سعيد مرات عدة برجال ونساء من المنطقة، وكان الجميع يحذّره من الموافقة على الشاب. قال أحدهم:

«الشاب ضعيف الشخصية، لقد ربّته والدته».

وقالت إحداهن:

«أم الشاب كانت تزاحم الرجال في المزارع».

وقال شخص عابر:

«الشاب مزيّن، يهوى الموسيقى منذ كان صغيرًا».

أمّا القول الذي لم يستسغه أحد، فكان لامرأة عجوز صادفتهم وهم يتحدثون عنه، إذ أشارت إلى أن للشاب خالًا ذا طباعٍ سيئة، وربما ورث عنه بعضًا منها.

❊ ❊ ❊

# ١٣

ذات مرة صادف عبدالسميع الفتاة في طريق الوادي. سقطت الأواني التي كان يحملها الحمار، فساعدها في إصلاح الأمر. أمال وجهه بعيدًا، ثم مضى يتسلق الوادي، وفي يده "قصبةً طويلة مثقوبة".

سألته:

«هل هذا هو الشيء الذي تزعجنا به ليل نهار؟»

التفت إليها مبتسمًا:

«لو عرفتُ أنه مزعج لما استخدمته، لكن لا مشكلة، سأتوقف عن العزف»!

"لا، لا يوجد إزعاج."

ثم نظرت إلى القصبة بفضول:

"لكن ما هذا بالضبط ومن أين حصلت عليه؟"

«هذا ناي»، ورفعه أمام عينيها، ثم أردف: «قالت أمي إن أبي اشتراه حين عاد من السفر، وكان يظن أنه سيجعلها تحبه أكثر.»

ضحك ثم وضع الناي في حزامه.

نظر نحو عصفورٍ يغرد على شجرة قريبة، لكنه لم يستطع رؤيته؛ كانت الأغصان تتأرجح.

قالت: "هل نجح الأمر؟"

قال: "أي أمر؟"

ترددت قليلًا، ثم قالت: «أقصد... لا بأس، انس الأمر.»

نهرت حمارها وراحت تبتعد، ناداها:

«لا أظنك سمعتِني أعزف من قبل. إن أردتِ، يمكنني أن أُسمعك.»

جاءه صوتها من بعيد: «نعم، لكن ليس الآن!»

عاد ينظر إلى الشجرة حيث سمع صوت العصفور. كانت الأغصان ما تزال تتأرجح، ولم يستغرق وقتًا طويلًا حتى لمح العُش.

❊ ❊ ❊

# ١٤

هذه هي قصة والدَيّ حسن عبدالسميع اللذين غادرا القرية قبل أكثر من عشرين عامًا، وعاشا في المدينة، وصارت حياتهما هناك أفضل. كان عبدالسميع يبيع الأزهار في شوارع المدينة، يقرّب الباقة من العابرين ويؤكد لهم:

«صدقوني، لن تندموا. هذه الأزهار رائعة، ولها أثر طيب في نفسية الإنسان.»

أضاف أنواعًا جديدة ونادرة من الأزهار، فذاع صيته، وصار الزبائن يأتونه من أماكن مختلفة من المدينة. كان يبيعهم الأزهار ويمازحهم محذرًا: «لا تضعوها في التراب وتنسوها، فقد تصبح شجرة كبيرة تعجزون عن التخلص منها!» فيأخذون كلامه على سبيل المزاح، ويمضون وهم يتأملون الأزهار بحب.

نشأ حسن عبدالسميع في عائلة تحب الأزهار والطبيعة، فلا غرابة أن يفكر في زيارة الريف، بل والاستقرار فيه. ظلت رائحة الطبيعة تحيط به، حتى وهو يعيش بين جدران من الأسمنت. صار جزءًا منها، كزهرةٍ يخفيها والده في صدره.

كان يقف في دكان والده طويلًا حين يخلو المكان، وفي البيت يتأمل أصص الفخار في الحديقة. كانت الأزهار دائمًا أمام عينيه؛ خصوصًا تلك الزهرة العجيبة التي لم تمنحها والدته فرصة أن تكبر وتصير شجرة. كانت تقطعها مرارًا من الجذع، ثم تعيد غرسها بعد أن تزيل جذورها كاملة.

سألها يومًا عن السبب، فقالت إن هذه الأشجار تحتاج إلى مساحاتٍ واسعة لتنمو؛ فجذورها تغوص عميقًا في الأرض، وأغصانها تتسلق نحو السماء، وقد يسبب ذلك لهم مشكلات إن تُركت تكبر وسط الأحياء الضيقة. ثم أضافت بحماس:

«يومًا ما سنعود إلى الريف، ونزرعها هناك، ونبني لنا عُشًّا فيها، ونعيش كالعصافير.»

راحت تقلّد صوت العصفور وهي تقرص خديه الصغيرين.

عرف حسن كل ما يتعلق بالقرية: موقعها، تضاريسها، وحتى أسماء سكانها. أخبرته والدته أن لها أقارب هناك.

زار القرية بعد رحلةٍ طويلة من الفقد. كان والداه قد تلاشيَا في أزقة المدينة وشوارعها. جاءت الحرب؛ انفجرت القذائف هنا وهناك، وتطايرت أزهار والده في الشارع: بعضها على الرصيف، وبعضها في وسط الأسفلت، وأخرى مبعثرة في كل مكان. وحين وصل إلى الأخيرة، وجدها في صدر والده؛ المسكين لم يتخلَّ عن عادته القديمة.

أصيبت أم حسن بشيخوخةٍ مبكرة بعد فقد زوجها؛ تجعّدت ملامحها، وذبلت في أيام قليلة. خبا نور عينيها، وخشُن جلدها كجذع شجرة. تلاشت قوتها، وتلاشت مهاراتها كامرأة... تلاشت هي نفسها، حتى لم يبقَ منها شيء.

❊ ❊ ❊

# ١٥

لم تترك المدينة للشاب أيَّ سببٍ للكفاح من أجله. هدأت الحرب، فانطلق إلى الريف. وقف أمام خاله، وقال له:

"أنا حسن عبدالسميع!"

"أهلًا حسن، تفضّل!"

"أمي أوصتني بالمجيء إليك!"

"أمك؟"

سأله مندهشًا. كان يصنع سريرًا لامرأة في القرية ستلد بعد أيام. توقّف عن العمل وحدّق في الشاب. قال له الأخير:

"أخبرتني أمي، رحمها الله، أن لها عائلة هنا في القرية."

نظر إلى الشاب بريبة، ووضع الأخشاب جانبًا.

"ماذا قلت؟"

كان من الصعب إقناعه بالأمر؛ فقد كثرت في القرى قصص عن شباب ونساء عادوا يطالبون بميراثهم من أخوالهم. نشبت الكثير من المشاكل، ووصل الأمر إلى التهديد بالسلاح، وبعضها انتهى بالدماء.

تُهضم حقوق الإناث، ويُتركن بلا شيء يُذكر، كأنهن لم يُولدن أصلًا. سواء تزوّجن أم لم يفعلن، فليس لهن حظٌّ من بيوت عائلاتهن إلا المتاعب والاحتقار. وفي النهاية يُلقين تحت أقدام رجالٍ آخرين. ثم لا يلبثن إلا قليلًا

حتى يجدن ضـــرائر يزاحمنهن في البؤس. يمتلئن بالحقد، ويربّين أولادهن على كراهيـة العـالم، فيكون أول من يقفون في وجوههم عـائلـةُ أمهـاتهم، يطالبونهم حتى بأشـياء لم تحدث... إنها أشـياء لا تقع كثيرًا. "تُرى: ما الذي عاد من أجله؟"

فطن حسن إلى ما يدور في ذهن خاله فقال:

"لا أريد منك شيئًا، فقط أمي تطلب منك السماح..."

لقد واجهت عائلتها مواقف سـيئة بعد رحيلها. مرّ عليهم كابوس طويل الأمد؛ لم ينم والدها لأيام. بقي أخوها يعدّ الأخشاب المرصوصة في سقف الحجرة، ليكتشـف أن الأرضـة بدأت في التهامها. وبين شـقوقها تلوذ الوزغ، وشـاهد دبورًا يبني بيتًا من الطين وراء العمود الذي يتوسـط السـقف. راحت العناكب تنسج بيوتها الواهنة في الزوايا، وصـارت الصراصير تتجوّل بحرية. حتى القط تغيّر؛ يموء في المطبخ لبعض الوقت ثم يغادر. كـانت تضـــع له الحليب في صحن صغير، فيلغ فيه قليلًا ثم يتركه للنمل والذباب.

بمرور الوقت، كبرت الزهرة وراء سـور المنزل، صـارت شـجرةً يبلغ طولها مترين. تغيّرت الكثير من الأشـــياء؛ تزوّج عليٌّ امرأةً من قرية بعيدة لتعيد ترتيب الفوضـــى التي حلّت بالمنزل. لم يعد أهل القرية يهتمون بما يحدث معه، وصـارت العجائز تعرفه بـــ "علي... أخو فلانة". أما الأب، فقد وهن عظمه، وازداد ضعفه، وصار أكثر حاجة إلى عصا يتوكأ عليها.

❊ ❊ ❊

# ١٦

"صحيح أنه شخص طيب، ولديه بنات جميلات، لكن تاريخهم غير مشرّف."

هكذا قال الشيخ أبو عثمان لحسن عبد السميع عندما طلب منه أن يخطب له ابنة خالته. إلا أن الشاب أصرّ:

"لقد أعطيتهم خبرًا، ولم يبقَ إلا الخطبة، لذا رأيت أنك الأنسب لمرافقتي."

"رعاك الله، لِمَ فعلت هذا؟ كان بإمكانك أن تتزوج أيّة واحدة تعجبك في القرية، بعيدًا عن ذلك البيت."

وضع كوب القهوة نصف الممتلئ في الصينية النحاسية. حامت ذبابة في الهواء، ثم سقطت في الكوب. نظر إليها، ووضع إصبعه عليها وأغرقها، ثم أخرجها وأخذ رشفة.

قال ابن عبد السميع:

"لا أعرف قصتهم، ولا أريد أن أعرفها."

"يا بني، إن الصبايا على العمّات."

وقعت ذبابة أخرى في الكوب. لم يغرقها بإصبعه، بل صبّ القهوة من النافذة. سقطت بضع قطرات على العتبة. سمع صوتًا من الأسفل، فمدّ رأسه ليتأكد إن كانت قد اندلقت على أحد، فرأى قطةً مرتجفة تقف في طرف

الشارع وتنظر إليه.

"أعتقد أن ما فات قد مات، يا عم مسعود"، قال حسن بملامح ثابتة، "ثم إن الناس يتغيّرون، وما حدث لن يتكرر. يكفيهم ما هم فيه من قطيعة."

نظر الشيخ إليه باستغراب، ولم يبدُ أنه سيقول شيئًا.

استرسل حسن بثقة:

"أنا أكفلهم يا شيخ. أريد أن أعيش قريبًا من هنا، وسيساعدني في البناء، بحكم أنه سيكون عمي، والتجارة التي أقوم بها معه يمكن أن تعينني على العيش."

❊ ❊ ❊

# ١٧

في اليوم التالي، دفع حسن الشيخ أمامه في الطريق إلى منزل خاله. لم يكن أحدٌ يعلم بالعلاقة بينهما.

تهامس بعضهم: "ترى ما الذي أوقعه في فخ هذه العائلة!"

وأجاب آخرون: "ربما أعجبته الفتاة."

وقال فريق ثالث: "لا غرابة! الفتاة تشبه عمتها، ولا يُستبعد أنه رآها تتمايل في الطرقات."

وأشارت بعض عجائز القرية إلى احتمال وجود علاقة مسبقة بينهما؛ فقد يكون رآها من قبل، ثم عاد من أجلها. وأبدت نساء أخريات شفقتهن على الشاب، مرجّحات أنه تعرّض لاستغلال من الفتاة ووالدها، وأنه، لكونه ابن مدينة، لم ينتبه للعواقب.

وانتشرت شائعات في القرية أنهم شاهدوهما يتهامسان تحت إحدى الأشجار القريبة من الوادي. راحت بعض الفتيات يلعنّها ويلعنّ أنفسهن لأنهن كنّ رفيقاتها يومًا ما. تضخّمت الشائعات أكثر؛ إذ قالت إحداهن إنها رأت الشاب يتسلل خلسةً إلى منزل الفتاة ليلًا. وراح بعض الرجال يلعنون والد الفتاة ويشتمونه، ويصفونه بالقواد وأنه يستحق ما قد يحدث له. حتى إن بعض الشباب اقترحوا أن يوسعوه ضربًا إذا مرّ في الشارع!

في المجلس الذي عقدت فيه الخطبة، قال أحد الفضوليين لحسن وهو

يهمس في أذنه:

"ضع في بالك أنه لا توجد نظرة شرعية عندنا في الريف."

"لا عليك!" أجاب حسن.

كان المجلس يعجّ بالحاضرين؛ منهم من جاء بدعوة من الشيخ، ومنهم من دفعه الفضول لرؤية خطبة ستُقام على سنة الله ورسوله في عائلة يتهمها الناس بأنها لا تعرف الله ولا رسوله، ولا تحترم عادات القبيلة. تحدّث بعضهم عن الزراعة والمحاصيل هذا العام، وعبّر آخرون عن مخاوفهم من انقطاع المطر للأسبوع الثالث على التوالي. واقترح رجلٌ منزوٍ في زاوية الغرفة أن تُصلّى صلاة الاستسقاء في الجامع يوم الجمعة المقبلة.

وأخذ رجلٌ عجوز، مسترخٍ على مقعد واسع، كأسًا خشبيًا، ووضع فيه بعض أغصان القات، وشرع يدقّها بآلة مدببة حتى امتلأ المكان بالضجيج. ضحك شاب يجلس في الزاوية المقابلة، متباهيًا بأسنانه المكتملة، وضحك حفيد الرجل العجوز، إذ تذكّر يومًا سقط فيه ضرس جدّه وهو يلتهم قطعة خبز جافة على العشاء.

وفي زاوية أخرى، قرب نافذة مفتوحة، أخذ عجوز آخر يحدّث الشباب عن بطولاته، وكيف نجا ذات ليلة من سبعٍ صادفه في الوادي، في إحدى ليالي رمضان، وهو عائد من القرية المجاورة. كان بعض الحاضرين ينصتون إليه بانتباه، بينما يتطاير من فمه رذاذ القات.

وفي تلك الأثناء، اعتدل شيخ القرية الجالس على مقعد وثير. كان خلفه على

الجدار حزامه الذي علّقه على مسمار. بدأ يتحدث، فسكت الجميع والتفتوا إليه.

قال الشيخ، ناظرًا إلى أبي سميح الجالس إلى جواره:

"انظر يا أبا سميح، وبسم الله قبل كل شيء، نحن أتيناك وسطاء من الولد حسن عبد السميع، طالبين راغبين يد ابنتك جميلة لابننا، راجين من الله ومنك القَبول، وألّا نعود خائبين."

"ارحبوا، على العين والرأس."

استرسل الشيخ:

"أنت تعرف يا أبا سميح أننا ما زلنا نحترمك ونحبك، والشباب مصيرهم الزواج؛ إن لم يكن لتكوين حياة وتربية أبناء، فعلى الأقل سدًّا للذرائع التي تأتينا منها المصائب، وأنتم أدرى بالمصلحة!"

نظر إليه أبو سميح شزرًا، وقال:

"صلِّ على النبي يا شيخ، ما علاقة هذا كله بابنتي وبحسن ابن عبد السميع؟!"

فيما سبق، كان عليّ سعيد قد رفض تزويج أخته من أبناء القرية جميعًا، كما رفض تزويجها لعبد السميع. وقد حرّض والده على البيع، لكنه ظلّ طويلًا يسدّد الثمن.

❊ ❊ ❊

# ١٨

حصل حسن عبد السميع على عرسٍ بسيط في القرية. تزوّج جميلة، التي لطالما ظنّ أنها لم ترث عن عمتها إلا الجمال، وأن اسمها ليس إلا صفةً رآها الجميع لائقة بها فألصقوها بها.

بدأ حياته كأي رجل في الريف. بنى منزلًا صغيرًا إلى جوار منزل والدها، وساعدته في رسمه كما تمنّت. مسحا الجدران بالطين والقش، ورسمَا نقوشًا حول الأبواب والنوافذ بدت كالإطارات. اشترى المفارش وبسطها في أرجاء المنزل، ورتّبا المكان بما يليق بهما أكثر مما يليق بعالمهما الضيق.

في اليوم الذي تزوّجا فيه، هطل مطر غزير، غمر الوادي وجلب رائحة السماء إلى القرية. راح الأطفال يركضون ويغنّون عراة في الشوارع. استبشر الزوجان خيرًا، وتفاءل بعض السكان. جرت المياه في الوادي، ورأى البعض المروج تمتد في المزارع. تساقطت قطرات الماء من أحد السقوف، فوضعوا إناءً تحتها، ثم امتلأ فاستبدلوه بآخر. كان الصوت متناغمًا كأنه طبل. هدأ المطر تدريجيًا، وطال الفاصل بين القطرات شيئًا فشيئًا...

لم يُسمع صوت الطبل في خيمة العرس؛ فقد صمت الجميع احترامًا لنعمة الخالق، وعدّوا المطر احتفالًا بحد ذاته. تسللت المياه من كل زاوية في الخيمة. اقترح الشيخ أبو عثمان أن ينتقل الحاضرون إلى منزله الواسع، لكنهم رفضوا. وبعد توقف المطر، اندفع بعض الفلاحين إلى مزارعهم

ليصنعوا السواقي للمدرجات وبرك المياه.

مرّت أيام، وبدأ حسن يوسّع أعماله في القرية، مقابل أجر مادي، أو بعض الحبوب إن تعذّر المال. شرع في استصلاح أراضٍ للزراعة، وغرس شجيرات البن، واشترى ماشيةً ودجاجًا. عاد بقطٍّ صغير وجده في أحد الشوارع، واعتنى به. كان يستيقظ قبل الفجر، يذهب إلى الجامع، ثم إلى المزرعة، يحفر السواقي حول المزروعات، ويربط بقرته وسط الخضرة الوارفة.

لم يتراجع اهتمام حسن بالأزهار. ساعدته زوجته في تهيئة مساحة صغيرة حول المنزل، زرع فيها بذورًا جلبها من المدينة، وغرس إلى جوارها المشاقر، وخصّص رقعة للخضار. كان كلما قام للوضوء مرّ بها، فيسقي نباتاته. حتى غدا منزله تحفةً فنية بين بيوت ضفاف الوادي.

لم يعد حسن يفكر بالأزهار النادرة التي كانت تعتني بها عائلته. لم يحتفظ ببذورها، ولم يخبّئها في صدره كما كان يفعل والده. تركها هناك، في مكان الحادث، مبعثرةً، تعبث بها الرياح.

❊ ❊ ❊

# ١٩

مرَّ عامٌ كاملٌ منذ أن تزوّج حسن عبدالسميع من ابنة خاله جميلة، وخلال هذه الفترة، وفي ليلةٍ مقمرةٍ ماطرة، رُزق بأول مولودٍ له؛ وكانت بنتًا تشبه القمر، بل أجمل من ذلك، كما وصفها بنفسه لبعض العابرين الذين صادفهم في طرقات القرية.

كان الناس يتشاءمون من الإناث؛ فكثيرون يعتقدون أنهن مدعاة للمتاعب. أحدهم طلّق زوجته لأنها أنجبت أربع بناتٍ دفعةً واحدة. لا أحد يفكر في إنجاب أنثى، لكن الجميع في القرية يفكرون في تعدد الزوجات، بل ويفعلون ذلك. وإن حدث ولم يجد أحدهم نساءً في القرية، ذهب إلى القرى المجاورة. كانت المهور باهظة، لكنها توشك أن تكون أقرب إلى البيع والشراء؛ فالزوج له الحق في أن يجعل زوجته تدفع أضعاف ما دُفع فيها، كأن تجمع الحطب من أماكن بعيدة في الجبال والأحراش، أو تجلب الماء من الوادي أكثر من مرة في اليوم، أو تجمع العلف، أو تُعدّ الطعام للضيوف الذين يأتي بهم كل يوم إلى منزله، أو تحمل الأشياء الثقيلة فوق رأسها لمسافاتٍ طويلة.

زارت النساء منزل حسن عبدالسميع؛ بعضهن جلبن هدايا خاصة. إحداهن أحضرت بعض الفِراخ، وكانت تمر بها في الحي، فتسألها النساء إن كانت تنوي بيعها، فتخبرهن أن جميلة بنت علي سعيد قد وضعت بنتًا. وأحضرت

امرأة أخرى قارورتي سمنٍ بلديٍّ وعسل، وجلبت أخرى بعض البيض، وأعدّت ثالثة طعامًا وأحضرته معها. كما أحضرت امرأة بخورًا ادّعت أن والدها جلبه من الهند أثناء مرافقته لأحد التجار قبل سنواتٍ طويلة. وأحضرت امرأتان سريرًا وثيرًا...

قامت جميلة فغسلت ابنتها جيدًا، وكمّدت موضع الحبل السري المقطوع والأعضاء التناسلية للطفلة، اقتداءً بنساء القرية، إذ يعتقدن أن ذلك يعالج مشكلة التبوّل اللاإرادي لدى حديثي الولادة. ثم قمّطتها بقطعة قماشٍ كانت فوطةً في الماضي، لفّتها حول الطفلة، وربطتها بشريطٍ طويل حتى تأكدت من أن الرباط لن ينفك بسهولة. فعلت ذلك بالطريقة نفسها التي تتبعها نساء القرية، حيث يُقال إن ذلك يقوّي جسد الطفل ويساعده على المشي مبكرًا.

بدت الطفلة في القماط كدودةٍ كبيرة. وضعتها والدتها في وسط السرير، وغطّت نصفها بملاءةٍ بيضاء. كان الدخان يتصاعد من المبخرة ويملأ الغرفة؛ المكان شبه مظلم، ووجود الدخان يزيده اختناقًا.

اجتمعت النساء حول المولودة، ولسان حالهن يقول: "حاشا لله، ما هذا بشر!" نظرت كل واحدة إلى الأخرى. قالت إحداهن لوالدتها:

"انظري كيف تكون النتيجة عندما يكون الأب من أهل المدينة، وأنتِ زوّجتِني لشخصٍ قروي لا يعرف كوعه من بوعه."

أجابت والدتها:

"نعم، لقد أخطأت. لو عرفتُ، لكنت أخذتكِ إلى المدينة وبعتكِ هناك."

تبادلن الضحكات... وعلى السرير كانت جميلة تتمتم بالمعوّذات، والطفلة نائمة، وعلى وجهها ابتسامة بريئة.

❊ ❊ ❊

# ٢٠

ينظر بعض الريفيين إلى المدينة بوصفها مكانًا يُنتج المبدعين والقادرين على القيام بكل شيء، ولعل هذا ما دفع بعض الناس إلى احترام حسن عبدالسميع؛ ربما لأنهم يشعرون أنه يعرف كل شيء، وأن هذه المعرفة تجعله منقذًا لهم. فقد أنقذهم من مشكلاتٍ كثيرة؛ من الغرق، ومن الأمراض التي تفتك بهم... وكانت النساء في القرية يشعرن بالشيء نفسه؛ فكونه من المدينة يجعله- في نظرهن- قادرًا على إنجاب أطفالٍ رائعين.

أحب حسن طفلته حبًا جمًا؛ أحيانًا يعتني بها كما تفعل أمها: يغسلها، ويقمّطها، ويهدهدها حتى تنام، ثم يظل يراقبها وهي نائمة حتى يطمئن إلى أنها لن تستيقظ بسهولة، ويتأمل ابتسامتها التي تتلاشى خلف ستائر النوم العميق. بعد ذلك ينطلق إلى عمله بحثًا عن الرزق.

وأثناء ذلك، لاحظ أن زوجته تضعف شيئًا فشيئًا مع مرور الأيام. ثم أخبرته أن الصداع في رأسها يتزايد منذ يوم الولادة، وكانت أحيانًا تنتابها رعشة مفاجئة؛ تهتز، وهي في كامل وعيها، كأنها شجرة. حاول أن يجد لها علاجًا، فأخذ يطعمها أكثر من المعتاد، ويقدّم لها أصنافًا كثيرة من الطعام، لكنها استمرت في الضعف. وصارت تتمتم، وهي نائمة، بكلماتٍ غير مفهومة. مرّت فترة النفاس، لكنها ظلت تكافح المرض: جسدٌ يتضاءل يومًا بعد يوم، وعينان غائرتان يخبو ضوؤهما ببطء، وشفتان متشققتان تخرج من بينهما

كلماتٌ مقطّعة.

قالت عجوز، ذات خبرةٍ في الأمراض، إن جميلة قد تكون مصابة بمرضٍ خطيرٍ غير معروف، لذلك يصعب إيجاد علاجٍ مناسب، لكن لا يزال بالإمكان استخدام بعض الأعشاب والأشربة المنقوعة للتخفيف من حدّة الألم والصداع. أما امرأة بائع الحطب، التي داومت على زيارتها والاهتمام بها، فقالت إن المرض نتيجة عين حسود، بسبب ما رأوه في الطفلة من جمال.

داوم حسن عبدالسميع على قراءة آياتٍ من سورة البقرة عند زوجته، بطلبٍ منها، وبدأ يخشى الخروج من المنزل خوفًا من أن يفقدها.

في القرية، كانت النساء ما يزلن يتناقلن الأحاديث عن جمال الطفلة الصغيرة التي أنجبتها ابنة علي سعيد. وقد تمنت زوجة "فريد أحمد"، الحامل في شهرها التاسع، أن تلد في ليلةٍ مقمرة كالتي ولدت فيها جميلة بطفلتها البكر.

قامت "رقية بنت محمد" بإحصاء بناتها الأربع، وتفحّصت وجوههن جيدًا لتقنع نفسها بأن الأمر عادي، لكنها لم تستطع. فصارت تغسلهن، وتشتري لهن أجمل الملابس، وتزيّنهن من الرأس إلى أخمص القدمين، حتى إنها ذهبت إلى ناقة الحاج كريم بقارورةٍ فارغة لتجمع بولها، بعدما سمعت أن له فوائد في تلميع الشعر وجعله منسابًا كالحرير.

أما "سامية أسعد"، فقد أبقت بناتها الصغيرات في المنزل، خشية أن تلسعهن حرارة الشمس فتلازمهن السُمرة إلى الأبد.

ورأت العجوز مريم العطّار أن القرية مقبلة على مستقبلٍ حافل بالجمال؛ يبدأ بمولودٍ واحد، ثم يمتد إلى مواليد أخرى، وأن مئة عام كفيلة بإحداث هذا التغيير.

في المقابل، ظلت جميلة في كفاحٍ دائم مع المرض، وقد مرّت سنوات طويلة حتى صار جزءًا منها؛ حتى إنها كانت تشكّ في عافيتها إن لم تشعر بصداعٍ في رأسها أو ارتعاشٍ في أطرافها. ومع ذلك، منحتها الحياة فرصةً كبيرة لترى ابنتها تكبر أمام عينيها بسلام.

❊ ❊ ❊

# ٢١

كانت "قمر" أجمل فتاة في المنطقة كلها. كبرت كبقية الأطفال، لكن نظرات الدهشـــة لم تغادر وجوه الناس كلما رأوها. ظلّت بارزة بين أقرانها، مثارًا للأنظار والحســـد، حتى إن بعضـــهم بدأ ينســـج حولها كلامًا لا يليق بها، محاولةً لردم الفراغ الذي يخلّفه هذا الجمال الفائض.

في ســـنواتها الأولى، وفّر لها والدها مســـاحةً واســـعة للَّعب داخل المنزل؛ فكانت تحبو هنا وهناك في نطاق لا يتجاوز ســـتة أمتار. أحيانًا كان يمكث معها، يضـــعها على صـــدره، يدغدغها ويناغيها حتى تنام، ثم يحملها إلى جوار والدتها المريضة، فتُرضعها متوكّلةً على الله، خشية أن تصيبها العدوى. لم توافق أي امرأة على إرضـــاعها، وقد سُـــمعَت إحداهن تتمتم بأن لديها مواليد ذكور، ولن تحرمهم من أي فتاة في القرية بداعي الرضاعة.

عندما بدأت قمر تدرك العالم من حولها، اتّسعت المساحة التي تتحرّك فيها؛ صـــار بإمكانها اللعب في حوش المنزل تحت مراقبة والديها. كانا يخشـــيان عليها من النباتات المزروعة حول البيت، أن تأكل الخضـــار أو تقطف الأزهار.

ذات يوم، غفلت والدتها عنها، فتســـلّلت إلى خارج المنزل. لم يمضِ وقت طويـل حتى عـادت مع أطفـالٍ كـانوا يمرّون قرب البيـت في طريقهم إلى المرعى. كان أحدهم يمســـك بيدها، ويقودها نحو الباب. نادى والدها فلم

يُجب، ثم نادى والدتها، فخرجت مضطربة.

قال الصبي:

"هذه ابنتك، وجدناها في الطريق. كان يمكن أن تنطحها الأبقار."

أخذتها أمها إلى الداخل، وقلبها يرتجف، ومنذ ذلك اليوم راحت تراقبها بحذرٍ شديد، حتى إنها ربطتها بخيطٍ طويل في سريرٍ صغير داخل الحجرة، يتيح لها الحركة في الحوش، لكن يمنعها من الخروج.

بقيت الطفلة تلهو خلف السور. أحيانًا تحفر بركًا صغيرة وتملؤها ماءً، تصنع الوحل وتتسلى به، تبني بيتًا من طين. لكن سرعان ما يهدمه أحد الأطفال الذين يأتون مع أمهاتهم أو لطلب شيءٍ ما. تبكي قمر قليلًا، ثم تعود لتبني بيتًا جديدًا، تحيطه بسياجٍ خشبي وأغصانٍ شائكة، ومع ذلك يختفي كل شيء فجأة؛ يأتي طفل آخر، يهدم البيت، ويمضي.

شيئًا فشيئًا، صار الأطفال يتجمعون حول المنزل. بعضهم يتسلل من وراء السور، يسرق الأزهار أو الخضار، وإن لمحوا الطفلة، يجذبها أحدهم من شعرها ويفرّون ضاحكين.

في كثير من الأحيان، كان يأتي أطفال في مثل سنها، يلعبون معها قليلًا، لكن اللعب غالبًا ما ينتهي بمشكلة: يهدمون بيتها الطيني، أو يتركونها تبكي، أو يجرّونها من شعرها، أو يبول أحدهم في الحفرة التي صنعتها للماء. وفي أحيان نادرة، كانت تردّ عليهم بطريقة تغيظهم؛ فيبكون ويذهبون إلى أمهاتهم.

كانت بعض الأمهات يأتين إلى أم قمر، يقفن خلف السور، ويُسمعنها كلامًا جارحًا ثم يمضين، بينما تبقى أصواتهن تتردد لساعات، عتابًا وصراخًا ونحيبًا.

شيئًا فشيئًا، توقفت قمر عن اللعب مع الأطفال، ذكورًا وإناثًا. صار في نفوسهم نزوعٌ عدائي نحوها؛ يضربونها، ويتعمّدون إزعاجها، وإن ردّت، تفاقمت المشكلة مع عائلة الطفل. الجميع يرونها متكبرةً ومغرورة، حتى وإن لم تكن كذلك.

وفي لحظة ضعف، تمنت أمها لو أنها أنجبت فتاةً عادية، أو لو أنها لم تُنجبها أصلًا.

كان هناك طفل واحد لا يفتعل المشاكل معها. كان يلعب معها باستمرار. عائلته الطيبة لم تكن تخاصم أحدًا. كان يأتي حتى في أوقاتٍ مبكرة، كالسادسة صباحًا، يبحث عنها. يلعبان معًا في الحوش، إلى أن تناديه أمه من بعيد فيترك كل شيء ويعود.

في أحد الأيام، حفرا حفرة كبيرة ليجمعا فيها الماء. وجدا جذر شجرة صغيرًا، وحاولا اقتلاعه، لكنهما لم ينجحا. انتهى وقت اللعب، وأُذّن لصلاة المغرب. سمع محمود صوت أمه يناديه هذه المرة بحدة، فانطلق فورًا، بينما بقيت قمر تحاول اقتلاع الجذر وحدها.

في اليوم التالي، عاد محمود، ووقف عند البوابة يناديها. لم يكن يجيد نطق القاف، فكان يستبدلها بالدال، بينما كانت قمر تنطق اسمه بشكل صحيح.

"محمود، تعال وانظر!"

وجدها في المكان نفســه، حتى خُيّل إليه أنها لم تغادره. كانت الحفرة قد امتلأت بالماء، وهي تراقبها باهتمام.

قالت له: "زهرة حالية!"

اقترب، وحدّق في الحفرة، فرأى غصنًا صغيرًا نابتًا، لكنه لم يفهم.

"أين؟"

"هنا!"

وأشارت إلى غصن أخضر وأردفت:

"زهرة صغيرة!"

❊ ❊ ❊

# ٢٢

مرّ الوقت سـريعًا، وصـارت قمر تفهم كل شـيء، ففكّر والدها في إلحاقها بالمدرسـة. لم تكن هناك مدارس في الريف، فاقترح، كعادته، مبادرة جديدة لتعليم أطفال القرية. لم يجد سوى اثنين من المتطوعين، فصاروا معًا ثلاثة. كانوا يعلّمون الأطفال مقابل أجر بسـيط يقدّمه أهالي التلاميذ الملتحقين بالمدرسة: قليل من المال، والقمح، والسكر، والزيت، والسمن، والعسل، وغير ذلك.

بدأوا التدريس في أحد الأحياء الواسعة، يجمعون التلاميذ حولهم تحت ظلال الأشجار، ويشرعون في شرح الدروس. وبعد مرور شهر، وباقتراح من أحد الشيوخ المسنّين، رمّم الأهالي منزلًا قديمًا بعيدًا من القرية، وصاروا يعلّمون فيه الأطفال القرآن الكريم، والفقه، والحساب، ويسردون لهم بعض القصص. وفي نهاية الأسبوع، كانوا يجمعونهم في ساحة مفتوحة ليعلّموهم الرياضة، كالقفز، والركض، ولعب كرة القدم المصنوعة من القش.

اقترحوا أيضًـا تعليم الفتيات الطبخ، وتنظيف المنازل، وتطريز الملابس، والنقوش، وغيرها، وقد خُصّصت نفقات معينة لبعض النساء اللواتي تطوّعن للقيام بهذه المهام. ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد، بل راحت المدرسـة تعلّم الطلاب الكثير من المهارات المرتبطة بالزراعة والبسـتنة والاهتمام بالمحاصيل.

كانت قمر بنت حسن عبد السميع من أوائل الملتحقين بالمدرسة. خاط لها والدها حقيبة مدرسية صغيرة من أكياس القمح، فكانت تحملها على ظهرها، وتمسك بيده، وترافقه إلى هناك. أعجب زملاؤها بالحقيبة، فصار لكل واحد منهم حقيبة مماثلة، وأصبح ذلك مصدر رزق جديد لوالدها.

أما الكتب، فكان الحصول عليها يتطلب جهدًا كبيرًا، لذا اعتمدوا على أحد التجار لجلبها من المدينة، وكذلك بقية الأدوات المدرسية. حتى غدت القرية منارةً للعلم، يقصدها الأطفال من كل مكان. وبدأ السكان ببناء مدرسة كبيرة متكاملة، تُدرَّس فيها مختلف المجالات العلمية والثقافية والفنية، ثم أُضيف إليها لاحقًا فرع لمحو الأمية، فشهدت المنطقة نهضة ملحوظة في شتى جوانب الحياة.

كان حسن عبد السميع يدرك أن الخير في القرية سينعكس على الجميع، صغارًا وكبارًا، ولذلك أخذت أفكاره تتطوّر ليُنجز من خلالها ما ينفع الريف وأهله.

كان لقمر زملاء وزميلات طيبين، لكنها اصطدمت ببعض الزملاء السيئين؛ كانوا يضربونها أحيانًا، ويسرقون أدواتها أحيانًا أخرى، ويستولون على المقعد الذي تجلس عليه، فتضطر إلى الجلوس على الأرض كي لا تزاحمهم.

كان محمود أحد زملائها، ضعيفًا إلى حدٍّ ما، فاقد الثقة بنفسه، مما جعله هدفًا للسخرية، حتى من أولئك الذين يرافقهم في الطريق، ويلعب معهم

بالطين، ويسير معهم إلى المرعى، حيث يلعبون الغميضة ومسابقات الجري.

كانت قمر تعود من المدرسة، فتتجه مباشرة إلى الزهرة خلف السور. تعتني بها بحب؛ تسقيها، وتراقبها معظم الوقت. كبرت الزهرة حتى صارت شجرة وارفة، تجلس الفتاة تحتها، وتعلّق حقيبتها على أحد أغصانها، ثم تنشغل بألعابها؛ تغسل قطعة خشبية صغيرة وتدّعي أنها ابنتها، أو تصنع من الطين أقراصًا تزعم أنها خبزًا للعشاء، فإذا جاء رفاقها قدّمتها لهم. وذات مرة، اجتمع لديها عدد منهم، فاضطرت إلى إعداد المزيد من تلك الدوائر الطينية، جفّفتها تحت الشمس، وقدّمتها على كسرة فخارية صغيرة.

حين شاهد حسن عبد السميع الشجرة لأول مرة، شعر أنه يعرفها منذ زمن؛ إنها الأزهار ذاتها التي نبتت على قبر والدته في المدينة، وتلك التي كان والده يخفيها في صدره.

ذات يوم وقف والده خلف السور، عازمًا على هجرة طويلة، طلبت زوجته أن ترافقه، فوافق. لم تدم الرحلة طويلًا؛ وصلا إلى المدينة، واستقرّا هناك، وعاشا أجمل أيامهما، ثم رحلا... تُرى، هل وجدا الأبد!

وتذكر علي النجار، حين رأى الشجرة، قصة العصا المعقوفة التي كان يتوكأ عليها والده؛ وضعها يومًا في السقف واستسلم للمرض، كأنه أراد أن تبقى أمام عينيه. ربما رأى فيها سيرة ابنته التي تركَتها له زهرة صغيرة وراء السور، ابنته التي لم يستطع حمايتها، فصار يحمي ظلّها في قطعة خشب.

مات الوالد، وتلاشى العالم أمام عينيه، وبقيت العصا معلّقة في السقف. لم ينهَر السقف، وبقيت الزهرة شامخة، حتى وهي عارية بلا جذور ولا أغصان.

الذي انهار لم يكن البيت، بل العائلة.

❊ ❊ ❊

# ٢٣

تضاعفت أعراض المرض لدى جميلة. صارت تلازم الفراش طول الوقت، لم تعد قادرة على الحركة، غارت عيناها أكثر وازدادت الهالات السوداء حولهما، وتقرّحت شفتاها. لم تفدها الأعشاب هذه المرة، وطوال أربعة أعوام استنفدت كل الأدوية التي كان يحتمل أن تعالج مشكلتها.

في بداية المرض، سافر زوجها إلى القرى المجاورة بحثًا عن طبيب، ثم إلى المدينة، لكنها أخبرته لاحقًا أنها تحسّنت، وأن لا داعي للقلق. كانت تقاوم الألم بالصمت؛ حين يشتد الصداع، تخرج إلى فناء المنزل، تستنشق رائحة الأزهار حتى يهدأ، أو تغالب الألم بالنوم حتى اعتقد زوجها أنها شفيت فلم يعد يلحّ في السؤال.

بعد أن فقدت جميلة قدرتها على العمل والحركة، صار زوجها يهتم بكل شيء؛ يستيقظ مبكرًا، يعد الطعام للعائلة ويوقظ ابنته لتأكل ثم يرسلها مع الرعاة إلى الجبل لرعي الماشية. لم يعد قادرًا على زيارة المدرسة فصار يدرس ابنته في البيت وأحضر أحدهم ليعمل مكانه في المدرسة. كان يبقى إلى جوار زوجته طوال الوقت، فلم يكن يتركها إلا حين تأتي والدتها فيذهب إلى العمل في الحقل وهو واثق أن الأمور ستكون على ما يرام.

كانت أم جميلة امرأة مسنّة، مثقلة بالأمراض، لا تقوى على خدمتها كما ينبغي، فكانت تضطر أحيانًا لإعداد الطعام وإرساله إلى بيت ابنتها.

في ليلةٍ ما، طلبت جميلة من زوجها أن يخرج بها لتغتسل بضوء القمر ورائحة الربيع. حملها بين ذراعيه إلى فناء المنزل، وأشارت أن يضعها قرب الشجرة التي تحبها قمر. أسندها إلى جذعها، فجلست تنظر إلى الأفق الفضي بنظرات بعيدة وواهية.

كانت الشجرة مزهرة، والبتلات تتدلّى، وعبيرها يملأ المكان.

قالت:

"كانت حياة حلوة يا حسن."

"ماذا تقصدين؟"

"حياتي... التي اتسعت لكما، أنت وقمر."

صمت، فتابعت:

"لكل إنسان حدّ من السعادة، وأظنني نلت نصيبي من السعادة معكما وزيادة."

اقترب منها، وأسند رأسها إلى كتفه.

قالت بصوت خافت:

"كل الناس يرحلون فارغين... إلا أنا، أشعر أنني سأرحل ممتلئة... بالحب... والأمل... والسعادة."

ضمّها إليه بصمت.

جلسا معًا، ينظران إلى الليل؛ رائحة الأزهار تتجول في المكان، وأصوات القرية تتلاشى في البعيد. وضعت يدها على صدره، وصل صوت

بومٍ من مكان بعيد، وهبّ نسيم بارد، وتساقطت بتلات الأزهار على كتفيهما.

أغمض عينيه... وأغمضت عينيها بحب... لكن هذه المرة، إلى الأبد.

❊ ❊ ❊

# ٢٤

مرَّ ربيعٌ وجاء آخر. لم تُغيِّر الشمس المكان الذي تشرق منه، نزل المطر، وانسابت المياه في الجداول، وغنَّت العصافير على الأشجار. هاجرت الطيور وجاءت أخرى، وتبعثر الفلاحون في المزارع، وجاءت مواسم جديدة للحصاد، وبقيت الحياة تمضي، والعالم يتحرّك، والأرض تدور حول الشمس، والقمر يدور حول الأرض، وكلٌّ في فلكٍ يسبحون.

كان حسن عبد السميع ما يزال يعيش في المكان ذاته، يراقب الزمن وهو يمضي، وابنته وهي تكبر، والشجرة وهي تُنبت أغصانًا جديدة وتتسلّق السماء.

في القرية، اعتقدت النساء أن قمر هي السبب في موت والدتها. قالت امرأة عجوز إن الفتاة وُلدت مسحورة، بلا شك، وإلا كيف بدت مشرقة منذ اللحظات الأولى لقدومها إلى هذه الدنيا؟ وافقتها نساء أخريات، بينهن امرأة عابرة زارت القرية ذات يوم لشراء تنوّر من صانع الفخار، وقد دفعتها الصدفة لزيارة منزل حسن عبد السميع. اقتربت من الطفلة وراحت تتشممها كما لو كانت قطعة لحم أمام لبوة جائعة، ثم التفتت إلى النساء وهن ينظرن إليها باستغراب، وقالت:

"فكرت أنها قد تكون ملاكًا لو أن رائحتها تشبه شكلها، لكنها كبقية الأطفال؛ رائحتها كالحليب، غير أن الأطفال حديثي الولادة لا

يتمتعون بجمال لافت مثلما هو حال هذه الطفلة."

كانت الطفلة تكبر كل يوم وتزداد جمالًا. الأطفال الذين كانوا يزعجونها بالأمس صاروا يغازلونها. ومن ينظر إليها يصعب عليه أن يتوقف عن التحديق. صارت معجزة القرية، والجميع لا يكفّ عن التفكير فيها إذا ما ذُكرت في حديث ما.

في مجالس القرية، كان الشباب يجتمعون، يناقشون الزواج، وخططهم المستقبلية في الزراعة وتكوين الأسرة وكسب المال. ثم ينزلقون إلى الحديث عن النساء، فتمرّ أمامهم قائمة طويلة من أسماء الفتيات العازبات، يتقاسمونهنّ بينهم، ويتوقفون عند واحدة، فيتنازعون عليها.

❊ ❊ ❊

# ٢٥

اتّسع ظل الشجرة بجوار منزل حسن عبد السميع، وصار بالإمكان رؤيتها من مكان بعيد، بينما بدا المنزل إلى جوارها كفزّاعة تحرس حقلًا من الذرة. لم تعد تُزهر إلا في أوقات نادرة من العام، لكن حين تفعل، تنتشر الرائحة في محيطها، رائحة جميلة وغريبة تدفع العابرين إلى الالتفات بحثًا عن مصدرها.

تحت ظل الشجرة، صنع والد قمر سياجًا خشبيًا لا يقل قطره عن مترين، ووسّع السور المحيط بها حتى صار جزءًا منه. في البداية، واجه مشكلة مع بعض القرويين الذين ادّعوا أنه يضيّق الطريق المؤدي إلى الجبل والوادي، حيث الرعي ومورد الماء. ومع تساقط الأمطار، كانت المياه تتجمع في الساقية حول الشجرة، فصار الاقتراب من جذعها صعبًا. لذلك جلب صخرة كبيرة، وبمساعدة خاله وضعها بجوار الشجرة، لتصير مقعدًا يجلس عليه معظم الوقت، يرتشف قهوته وهو ينظر إلى الوادي. أحيانًا يصلّي على الصخرة، وينتظر الشروق جالسًا، فيشاهد قرص الشمس يبرز من وراء التلال، فيصلّي صلاة الشروق.

تأتيه ابنته بكوب قهوة صباحي، ويتناول إفطاره هناك. يبقى حتى تشتد حرارة الشمس، فيعود إلى المنزل. وفي الظهيرة، يكون الظل في أوسع حالاته، وهو الوقت المناسب لقيلولة طويلة.

لم يتساءل حسن عبد السميع عن سبب تجنّب أهل القرية مجالسته، حتى حدثت مشادّة بين خاله وأحد الجيران، قال فيها الأخير:

"لو كنتَ رجلًا ما تركت أختك تهرب مع ابن الناس البارحة، ثم جئت اليوم تصاهر ابنه!"

يومها، فكّر طويلًا في الأمر، وانتبه إلى معرفة القرويين بقصته وقصة والديه. جلس يتأمل أبعاد المسألة، ثم تجاهلها تمامًا. ظلّ رجلًا طيبًا يحترم الجميع، وربما لهذا لم تتفاقم الخلافات بينه وبينهم. كانوا يضمرون له الكثير، لكنه كان قادرًا على تجاوز ذلك؛ فهم يحتاجون إليه دائمًا. لا أحد يستطيع الاستغناء عنه، فهو يساعدهم في حلّ مشكلاتهم، وإصلاح آلاتهم المعطّلة، وابتكار طرق تسهّل حياتهم.

كانوا يستضيفونه، ويدفعون له مقابل ما يصلحه، ويشركونه في المزارع، ويدعونه إلى مناسباتهم، كالشعبانية وجمعة رجب ورمضان والمولد النبوي. أما قمر، فقد واجهت العكس تمامًا. منذ وفاة والدتها، صارت رمزًا للتشاؤم في القرية. انتشرت شائعات بأنها أمرضت أمها حتى قتلتها، وأن ولادتها كانت شؤمًا على كل شيء. تجاهلتها النساء، بينما ظلّ الشباب يتحدثون عنها في المجالس.

كانت تسير وحيدة، بلا صديق ولا رفيق، تذهب إلى الوادي وتعود. لا يلتفت إليها إلا أولئك الشباب الذين يستوقفون النساء في الطرقات. يحيّونها فتردّ السلام، ثم يرمقونها بنظرات فاحصة، كأنهم يقيسون طولها وعرضها

وتفاصيل جسدها، ثم يمضون وهم يتبادلون الحديث عنها.

في غضون سنوات قليلة، وقبل أن تتجاوز زميلاتها سن المراهقة، تزوّجن جميعًا. تطايرت الفراشات من حولها، وبقيت هي زهرة وحيدة، تحرّكها الريح يمينًا وشمالًا، دون أن تنكسر، دون أن تتناثر بتلاتها.

قال والدها: "سأقطع هذه الشجرة إن لم تتوقفي عن الجلوس تحتها."

كان يراقب الشباب وهم يمرّون خلف السور، يتوقفون وينظرون نحو المنزل، يتبادلون الحديث مبتسمين، ثم يمضون.

كانت الشجرة قوية، لكنها منذ وفاة زوجة حسن عبد السميع أخذت بتلاتها تتساقط باستمرار، حتى صار المكان مكسوًا بحمرةٍ خفيفة. كان ينظر إلى الأزهار فلا يرى إلا المياسم، كجناح طائرٍ منتوف الريش.

قالت عجائز القرية إن قمر تغري الشباب بطريقتها الخاصة، إذ تجلس كأميرة حسناء تحت الشجرة، والأزهار تتناثر حولها.

أحد الشباب ادعى أنها غمزت له!

وادّعى آخر أنه جلس معها وتبادلا الحديث والقُبل، لكنه لم يحبها... فضحك الآخرون من كذبته.

أحدهم أشاع أنها عرضت عليه الزواج فرفض، وحين سُئل عن السبب قال:

"لا أريد امرأة يتغزّل بها الجميع، حتى النساء!"

سُئل: "ولماذا النساء أيضًا؟"

قال: "نســاء القرية لا يختلفن عن الرجال، جميعهن يســتســلمن لجمال قمر!"

ضحكوا.

وبدأ بعضهم يصدق ذلك.

وصار من الصعب أن يتزوّجها أحد، ما دامت تثير انتباه الجميع.

❊ ❊ ❊

# ٢٦

لم تكن الفتيات يُحبِّذن الوقوف إلى جانبها، حتى لا يصبحن عرضةً للمقارنة بها. وتوقفت كثيرات منهن عن الحضور إلى المدرسة، وبقيت قمر الوحيدة التي واصلت الحضور بانتظام. كان زملاؤها يكثرون الالتفات إليها، يلوون أعناقهم، مهملين شرح الأستاذ، مما أزعج قمر ودفعها إلى التفكير في التوقف عن الذهاب إلى المدرسة. فصار والدها يشرح لها بعض الدروس في المنزل.

في أحد أعراس القرية حضرت قمر، فتعرّضت العروس للمهانة.

"كل هذه الزينة، ولم تستطيعي أن تكوني أجمل منها؟!"

قالت عجوز شبه مجنونة، وهي تنظر إلى العروس وتشير إلى الفتاة الجميلة الجالسة في زاوية الخيمة.

زارت إحداهن منزل الأستاذ حسن، وأخبرته بما جرى، وطلبت منه أن يمنع ابنته من حضور مجالس النساء. شرحت له أسبابًا كثيرة، ورأى هو أنه من حق نساء القرية أن يشعرن بالزهو بأنفسهن، لكن ذلك لا يعني أن يمنع ابنته من الحضور؛ إذ ما زال من حقها هي الأخرى أن تشعر بالزهو.

في إحدى المجالس النسوية سمعت قمر كثيرًا من الكلمات المزعجة التي طالتها وطالت عائلتها... قيل عنها إنها عانس، لكنها لم ترد على أي عبارة مسيئة.

عانس! نعم، عانس قبل أن تتجاوز الخامسة عشرة. فجميع أترابها يتزوجن في الثانية عشرة أو الثالثة عشرة. إحدى رفيقاتها الصغيرات تزوجت وهي في العاشرة. كانت قمر تعرف الفتى الذي تزوجته؛ فقد كان في الثالثة عشرة، يلعب الغميضة مع الأطفال في المرعى.

ذات مرة غفل عن الرعي، فاقتحمت الأغنام مزرعة في القرية المجاورة. أمسكوا بها وحبسوها في غرفة مغلقة تُستخدم لتخزين الحبوب، ورفضوا إعادتها حتى يحضر والده. قدم الأب تعهدًا بعدم تكرار الحادثة، لكنها تكررت مرتين بعد ذلك، وفي المرة الأخيرة تعرّض الفتى للضرب المبرح من والده، وتم تعليقه مقلوبًا في سقف غرفته لنصف ساعة.

بعد الزواج، توقف الفتى عن اللعب مع أترابه، فأرسله والده ليبيع ثمار المانجو في أماكن بعيدة، ثم صار دلّالًا يبيع الملابس، ثم بائع قبعات قشية، ثم مزارعًا، ثم مروّض ثيران. وفي إحدى المرات طرحه ثور أرضًا في مزرعة تطل على الوادي. ساعدته مجموعة من النساء على الإفلات من الثور الهائج. كان قد كسر ذراعه اليمنى من المرفق، وتعرض لرضوض متفرقة في جسده كله، فبقي في المنزل شهرًا كاملًا.

وحين استعاد عافيته، طلب منه والده أن يطلق زوجته؛ إذ رآها ذات يوم تصلح أرجوحة صغيرة عند باب المنزل، كتلك التي تركتها في بيت أهلها. رفض الزوج تطليقها، ولما أصر والده على الأمر، أخذ زوجته وانتقل إلى الجبل، حيث بنى منزلًا صغيرًا إلى جوار منزل عمه، وعاش فيه.

لم تعد زوجته تفكر في صنع أرجوحة لنفسها، لكنها صنعت واحدة صغيرة لطفلها القادم. صارت تجلس عليها في الأيام الهادئة، تؤرجحها ببطء: خطوتان إلى الأمام... وثلاث إلى الخلف.

❊ ❊ ❊

# ٢٧

لم يكن منزل حسن عبدالسميع في وسط القرية، بل كان بعيدًا إلى حد ما. وإلى جواره منزل خاله ووالد زوجته، وهو منزل قديم. لم تكن تصدر من المكان أصوات تُذكر؛ فلا أطفال يثيرون الضجيج، ولا حيوانات كثيرة. كان المكان هادئًا جدًا، باستثناء عليّ سعيد، الذي كان ينشد أحيانًا بعض الألحان التراثية الريفية، حين يكون في مزاج رائق أو منشغلًا بعمل يحبه، كأن يبني شيئًا، أو ينحت محراثًا جديدًا ليبيعه لأحد الفلاحين، أو يصنع سريرًا لامرأة تنتظر مولودًا.

المكان يكاد يكون معزولًا وغير مألوف، لولا أنه يقع على الطريق المؤدية إلى الوادي. فكّر حسن عبدالسميع في تطوير منزله وبناء ديوان واسع يستضيف فيه أهل القرية أو القادمين من خارجها، لكن ابنته الوحيدة كانت سببًا مقنعًا لعدوله عن الفكرة؛ ففتاة صغيرة تعيش وحدها معه، من الصعب أن تتحمل مسؤولية كرم كهذا. ولولا ذلك، لكان من الممكن أن يصبح رجلًا محبوبًا في القرية، يحظى باحترام الجميع.

بعد منزل حسن بمسافة قصيرة باتجاه القرية، يقبع منزل صغير تعيش فيه امرأة بسيطة مع طفليها. كانت تعمل بجهد في الحقول، وتخدم النساء، لتوفر ما يعيلها وصغيريها، بعد أن رحل زوجها آخر مرة عن القرية وغاب ما لا يقل عن ثماني سنوات. تركها وهي حامل بابنه، وسافر إلى إحدى الدول

المجاورة، ووعدها أن يعود بما يكفي ليمنح أولاده حياة هانئة، لكن منذ ذلك الحين، لم يره أحد.

بعد غيابه بشهرين، أرسل إلى زوجته بعض المال ورسالة مع أحد المسافرين العائدين من التجارة، يخبرها فيها أنه يعيش حياة جيدة، وأنه سيبقى في ذلك البلد البعيد حتى يحقق المستقبل الذي يتمناه لأطفاله، وأنها لا ينبغي أن تقلق، وإن كان قد بدأ يشتاق إليها منذ اليوم الأول لرحيله.

وبعد ستة أشهر، وصلت رسالة أخرى مع مسافر آخر، يخبرها فيها أنه انتقل إلى مكان جديد، وأن ملامح النجاح بدأت تلوح له.

اشتاقت الزوجة إلى زوجها كثيرًا، كما اشتاق الصغيران إلى أبيهما الغائب. منحتها الرسالة الأخيرة بريق أمل، فصارت غصون تستدين المال والطعام من الناس لإطعام أطفالها. وكاد الناس يتوقفون عن مساعدتها، لولا أنها كانت تؤكد لهم أن زوجها سيعود قريبًا، وسيعيد إليهم كل ما استدانته.

مر عام، ولم تصل رسالة جديدة. ثم عامان... ثم ثلاثة... واختفى الأمل.

صارت غصون تعمل ليل نهار لتعيل أبناءها، وترد للناس ما استدانته منهم. وهكذا صارت نموذجًا حيًا للكفاح النسوي في مواجهة قسوة الحياة.

أنجبت غصون ولدين: محمود ومحمد. لم يحالفها الحظ في إنجاب أنثى. في القرية يرون أن إنجاب الأنثى من سوء الحظ، أما بالنسبة لغصون فقد كان لها رأي آخر؛ فهي لا تحب البنات لأنهن بنات، بل لأنها كانت بحاجة إلى من يساعدها في تدبير شؤون المنزل والاهتمام بالعائلة. وحين سمعت أن

حسن عبدالسميع، جارهم القادم من المدينة، قد رُزق بأنثى، شعرت بالغبطة تجاهه. وقد ردّدت المثل الذي تقوله بعض العجائز المتشائمات في القرية: إن اللحم لا يناله إلا من لا يملك أسنانًا.

لكن الأيام أظهرت لها عكس ما كانت تتوقعه؛ فالعائلة التي نالت اللحم كانت تملك أسنانًا طويلة، وقادرة على أن تعطي هدية الخالق حقها الكامل من الرعاية والاهتمام.

بعد أن كبر محمود ومحمد، صارا يساعدان والدتهما في كل شيء؛ جلب الماء من الوادي، ورعي الأغنام، وإعداد الطعام، والاهتمام بنظافة المنزل، وغير ذلك. حتى إنهما عملا في الحقول للحصول على المال، وكانا معًا يتقاضيان أجرَ شخصٍ واحد، رغم ما يبذلانه من جهدٍ وعناء.

كان محمود يكبر قمر بعامين تقريبًا، أما محمد فكان يصغرها ببضعة أشهر، لكنه كان شديد التعلّق بوالدته، لا يفارقها معظم الوقت، على عكس أخيه الذي كان يلهو مع الأطفال ويجالسهم ويفعل أشياء كثيرة.

لم يكن محمود يلعب مع بقية الأطفال كما كان يفعل مع قمر؛ كان يزورها في منزلها كل صباح، ويلعب معها في الحوش، حتى تناديه والدته لتناول الإفطار أو لمساعدتها في أمرٍ ما، كالعناية بأخيه الأصغر ريثما تعود من الوادي أو تحضر العلف من المزرعة لبقرتها.

في السادسة صباحًا من كل يوم، كانت غصون تفتح عينيها لتجد أن محمودًا لا ينام في فراشه. في المرة الأولى شعرت بالفزع، ثم سمعت دندنته تحت

نافذة المنزل، فنظرت فإذا به يجمع بعض الحصى، ويصنع سورًا صغيرًا له سقف من العيدان والتراب. وحين سألته عمّا يفعل، أخبرها أنه يبني بيتًا جديدًا للعائلة بدلًا من البيت القديم الذي تتسرّب منه مياه المطر، فتغمر الأرضية بالوحل، فلا يجدون مكانًا ينامون فيه. وفي المرات التالية التي كان يختفي فيها محمود عن المنزل، كانت والدته تجده عند جيرانها، يلعب مع قمر.

❊ ❊ ❊

# ٢٨

في أحد الأيام الهادئة، سمع حسن عبدالسميع خالته تناديه ليأتي لرؤية خاله العجوز. كان خاله، منذ يومين، قد بدأ يصنع مهدًا صغيرًا للأطفال، زخرفه بنقوش جميلة، ومن بينها شكل زهرة صغيرة يعرفها منذ سنوات؛ إذ صادفها في أحد أيام الجفاف، خلف السور، مبللة بالماء.

أحضرت له زوجته كوب قهوة، وسألته وهو يعمل بجد:

"ما الذي تعمله منذ الصباح إلى الآن؟ تُتعب نفسك ليل نهار."

لم يُجبها. أخذ كوب القهوة ووضعه على خشبة منتصبة بجانبه، وراح ينظر إلى العمل بزهو، وكان قد بدأ يتخذ شكلًا واضحًا.

قال لها: "معقول لا تعرفين ما أصنعه!"

قلب القطعة الخشبية أمامه على أطرافها حتى بدا الشكل جليًا، وقال:

"هذا مهد للمواليد الجدد!"

نظرت إليه متفحصة، وقد بدأت تدرك ماهية المجسم الموضوع على الأرض، ثم ابتسمت:

"مهد؟ لكن ليس لدينا أطفالًا، جميعهم كبار!"

كان لديه بنتان وولد واحد؛ زوّج إحدى البنتين في قرية بعيدة، أما الأخرى فكانت من نصيب حسن عبدالسميع، ابن أخته القادم من وراء الأفق. وأما الولد سميح، فقد تزوج ابنة أحد كبار القرية، ومنذ زواجه تغيّر كثيرًا على

والديه؛ تركهما، وراح يبني منزلًا كبيرًا في وسط الحقل، في مكان ناءٍ لا يفكر أحد في الذهاب إليه. ومع ذلك، ظل بإمكان والده أن يتجشم عناء زيارته متى شاء؛ يسلّم عليه، ويجلسان لشرب الشاي تحت ظل إحدى الأشجار، يتبادلان الحديث لبعض الوقت، ثم يعود إلى بيته.

قال لزوجته:

"إذا سمعتِ في هذه الأيام بولادة أنثى في القرية، فأخبريني."

قالت له:

"وما الفائدة؟"

أخذ رشفة من القهوة، وأعاد الكوب إلى مكانه، ثم نظر إلى المهد الصغير بزهو. كان قد أوشك على الانتهاء، ولم يتبقَّ إلا بعض التفاصيل.

بعد يومين، حين جاء حسن عبدالسميع ملبّيًا نداء خالته، رأى المهد هناك، مزخرفًا بالنقوش والأزهار. وبالقرب منه، كان خاله العجوز متكئًا على محراث مكسور، عيناه ساكنتان، لا شيء يتحرك في وجهه، والهواء من حوله يمرّ في صمت ثقيل.

"ما الذي حدث؟ هل أُغمي عليه؟"

سأل حسن، وهو يهز الجسد أمامه برفق.

قالت خالته:

"يبدو أنه مات!"

وقفت إلى جوارهما بثبات وصبر؛ لم يكن في صوتها ما يدل على حزن أو

فزع. ضمّت كفيها إلى بطنها، وراحت تراقب المشهد الساكن، كأن الصدمة لم تنل منها كثيرًا. لقد سمعته البارحة يخطط للذهاب إلى المزرعة، والبدء بحراثة الأرض وغرس نباتات جديدة. كان مستلقيًا على ظهره، ويداه خلف رأسه، ينظر إلى السقف حيث تمتد عصًا قديمة معقوفة بين صف من الأخشاب.

أخبرها أنه ينوي أن يزرع المساحة المحيطة بالمزرعة بأشجار نادرة من جنس الشجرة القريبة من المنزل، بينه وبين منزل صهره حسن عبدالسميع. كانت متعبة، فلم تناقشه كثيرًا. وكان ذلك آخر ما سمعته منه، قبل أن تغفو. ظل متكئًا على المحراث؛ كل شيء ساكن في وجهه.

قالت:

"لم يتذمر يومًا، ولم يشتكِ من شيء. لا أعرف كيف حدث كل هذا."

وضع حسن يده على عنق خاله ليتأكد، فلم يجد سوى السكون يخيّم على الجسد. وإلى جواره كان صندوق خشبي، بدا أقرب إلى نعش صغير منه إلى مهد للأطفال. كان مكتمل الصنع، مزخرفًا بالنقوش، تغطيه أزهار كثيرة لم ينقصها سوى بعض الألوان، فعرف حسن أنها الأزهار ذاتها التي عرفها منذ الطفولة: بتلات مدوّرة، وسيقان طويلة متعرجة، وأوراق خماسية الشكل.

قالت العجوز:

"منذ يومين وهو يعمل بجد، من الصباح إلى المساء. لا أعرف ما

الذي كان يفكر فيه... المسكين كان يصنع مهدًا للأطفال."

لم يقل حسن شيئًا، ظل يحدّق في الجسد.

ثم قالت العجوز، كأنها تذكّرت أمرًا:

"نعم... مهد. قال إنه للبنات فقط."

❊ ❊ ❊

# ٢٩

صار البيت الذي تعيش فيه قمر أشبه بسجنٍ منعزل؛ لم تعد تسمع صوت جدّها وهو يترنم بالأهازيج، بينما يعمل أو يتضرّع طلبًا للمغفرة والهداية والرزق والمطر.

بقيت عجوزٌ وحيدة تسكن البيت القديم، صارت تتغيّب كثيرًا في زيارات إلى بيت ابنها في الجبل، وإلى بيت ابنتها في قريةٍ بعيدة.

في أحد الأيام، سمع الأستاذ حسن صياحًا من ناحية الجبل، حيث بيت ابن خاله. وعندما سأل عن السبب، قيل له إن خالته زارت بيت ابنها، ووقعت مشكلة بينها وبين كنّتها؛ إذ اتهمتها الأخيرة بتوزيع مياه الشرب على الرعاة في الجبل، وهو أمر لا يتقبّله أهل المنطقة بحجّة أنهم يسكنون بعيدًا عن مصادر المياه.

ومنذ وقوع تلك المشكلة، لم تعد تزور ابنها؛ غادرت إلى بيت ابنتها واستقرّت هناك، ومنذ ذلك الحين لم تعد إلى القرية.

❊ ❊ ❊

# ٣٠

جاء الربيع، فأزهرت أشـجار القرية، وانتشـرت الروائح العطرة، وبدأت الأرض تكتسـي بألوان الطبيعة. نزلت الأمطار، وعادت المياه تتدفق في الوادي. تدلّت أغصـان المانجو محمّلة بالثمار، وانحنى النخيل في أطراف الوادي، وتقوّسـت جذوعه، واسـتلقى الغيم على أكتاف الجبال المحيطة. مرّت الأيام سريعًا.

أصرّت أم محمود على تزويجه، قالت:

"ينبغي أن تجد امرأةً تهتم بالمنزل."

قال: "وما الداعي؟ وماذا نفعل نحن هنا؟"

قالت: "المرأة عمود البيت، وهي التي تحميه من الخراب. لماذا تكذب على نفسك؟ لن أدوم إلى الأبد!"

لم تستطع إقناعه، وكان يتجاهل كلامها. حذرته قائلة:

"إن لم تفعل، فسيتزوّج أخوك قبلك."

بعد أيام، سألها:

"ما رأيك بقمر؟ ابنة الأسـتاذ حسـن عبدالسـميع، إنها تهتم بمنزل والدها على أكمل وجه."

كان واحدًا من المعجبين بها لا أكثر، لكنه تجاوزهم بطريقةٍ ما. وبعد أن كبرا، لم يعد يسـتطيع مقابلتها؛ فقد انتقبت في سـن العاشـرة، كحال فتيات

القرية، لكنه يعلم أنها لم تتغيّر كثيرًا.

شاهدها ذات مرة تجلس تحت شجرة الأزهار. اقترب ليتحدث معها. قال إنه بحاجة إلى الماء. نهضت من مكانها، وأحضرت أسطوانةً نحاسية مملوءة بالماء، وضعتها على السور، ثم اختفت خلف سقيفة من القش. كان يرى ظلّها من خلال الثقوب.

انتهى من شرب الماء، فوضع الكأس على قنينة المياه حتى أصدر صوتًا مسموعًا. قال:

"أين الأستاذ حسن عبدالسميع؟"

جاء صوتها هادئًا:

"يعمل في الحقل."

لم يتمكن من اختلاق عذر آخر للحديث. راقب ظلّها بصمت، ثم لملم الأفق الضيّق أمام عينيه، وانطلق إلى المنزل.

قالت والدته:

"حفيدة الحاج سعيد؟ هل تعرف ماذا يقول الناس عنها؟ إنها مسحورة، وجميع الرجال يتغزلون بها في المجالس! أما النساء، فلم أسمعهنّ قط يقلن عنها خيرًا."

قال:

"وهل سنصدّق الناس؟ أتعرفين ماذا يقولون عني أيضًا؟"

كان ذلك منذ سنوات، حين بدأ يساعد والدته في شؤون المنزل؛ فكان يعدّ

الطعام، ويجلب الماء من الوادي، ويهتم بنظافة البيت. وفي إحدى المرات، وهو في السابعة، شاهده الأطفال يحمل سطل الماء فوق رأسه ويسقي نباتات الخضار المزروعة بجوار البيت.

كثيرًا ما تتمنى النساء أن يكون لهن أبناءٌ كمحمود، يساعدونهن في تسيير شؤون البيت. أما الرجال، فيرون في ذلك عارًا كبيرًا، ويعتقدون أن من يفعل ذلك مشكوكٌ في رجولته.

تعمد محمود أن يرى قمر مراتٍ عدة، وأن يختلق الأعذار لمقابلتها، حتى إنه في أحد الأيام لم ينتبه إلا وهو يقف أمام الباب. كانت تنظف سقيفة الأبقار من الوحل. نظرت إليه، فارتبك بضع ثوانٍ قبل أن يسألها:

"هل والدك في البيت؟"

قالت:

"إنه يعمل الآن في الحقل، هل تريد منه شيئًا؟"

قال:

"لا، كنت أريد أن أسلّم عليه لا أكثر."

بعد ذلك، صادفها مرات عدة في طريق الوادي. كان يلقي عليها السلام، فتمضي بصمت، وأحيانًا تردّ بصوت خافت.

ذات مرة، وقف أمام سور بيتها، فرآه حسن عبدالسميع وهو يغرس بعض حبوب الفاصولياء في الحوش، فقال له:

"وعليكم السلام."

شعر محمود باضطراب، وحاول أن يبتكر عذرًا. فقال:

"صباح الخير، أستاذ حسن!"

صاح ديكٌ واقف عند طرف السور، فلم يسمع حسن شيئًا. وضع حبة فاصولياء في حفرة صغيرة، وطمرها بالتراب بقدمه، ثم نظر إلى الشاب الواقف قريبًا منه وقال:

"هل تحتاج إلى شيء؟ تفضّل."

شعر الشاب بشيء من الاطمئنان، واقترب أكثر وقال:

"ماذا تفعل هنا؟"

قال حسن:

"أغرس بعض البذور..."

حفر حفرة جديدة، ووضع فيها حبة أخرى، وردمها كما فعل بالأولى، ثم قال:

"كما ترى، فإن موسم المطر أوشك على الانتهاء، ولا بد من استغلاله."

في تلك اللحظة أتت الفتاة، تحمل إبريق الشاي في يدها. وضعته تحت ظل الشجرة، وعادت إلى البيت. قال والدها:

"تفضّل، لنشرب معًا بعض الشاي."

❊ ❊ ❊

# ٣١

في أواخر أغسطس/ آب، نزلت أمطار غزيرة على المناطق الجبلية. لم يكن موسم الحصاد قد انتهى بعد، فجرفت المياه العديد من المحاصيل، وتهدّم منزلٌ قديم في أطراف القرية. جمع الناس صخوره، وراحوا يعيدون ترميم المدرّجات للحفاظ على ما تبقّى من التربة.

فقد أحد الفلاحين كل الثمار التي كان ينتظر الوقت المناسب لحصادها، فراح يقلّب كفّيه على ما أنفق فيها، وهي خاوية على عروشها. نال بعض المواساة من كبار الفلاحين، فأخبره أحدهم أنه سيعطيه كيسين من القمح تعويضًا عن خسارته.

الكثيرون خسروا بأشكال مختلفة، لكنهم صبروا واحتسبوا أجرهم على الله. حتى الرجل الوحيد الذي سبق الجميع في جمع المحاصيل، فقد تعرّض لخسارة مشابهة، بعدما اكتشف أن المياه تسربت إلى مخازن الحبوب.

ظنّ الجميع أنهم قد أُحيط بهم، وأنهم يتعرضون لسخط الله. استغفر بعض الناس، وشعر آخرون بالقنوط. راح أحدهم يصرخ في الحي:

"ألن تتوقف السماء عن التبول على أكتاف الفقراء!"

وشهد بعض من سمعوه أنه قال أسوأ من ذلك بكثير. زجره بعض السكان، بينما راح آخرون يكررون كلامه.

كان حسن عبدالسميع يواجه الكارثة بصدر رحب. فقد تعرّضت مزرعته

الصغيرة لفيضان كبير، فراح يلملم ما تبقّى من الثمار ويدعو الله.
استغرب الذين رأوه من بروده ورحابة صدره تجاه عاصفة هوجاء لا تُبقي ولا تذر، حتى قالوا إنه بلا مشاعر.
في أحد الأيام التي هطلت فيها الأمطار بغزارة، فتح أحدهم نافذة بيته ونظر نحو المزارع المغمورة بالمياه، فرأى الأستاذ حسن يركض بمعوله في الحقل، يعيد توجيه المياه في السواقي المخصصة لها. اتهمه آخرون بتخريب المزارع عبر توجيه المياه إليها، وبأخذ الصخور من المدرّجات، مما تسبب في انجراف التربة.
سمع الأستاذ حسن هذه الأخبار، ولم يقل شيئًا. كانوا كلما جاء المطر يرونه يركض في الحقل ويتضرع بالدعاء. أحيانًا يكون سببًا في نجاة الزرع من المياه، لكن عندما تفيض أكثر وتطمر المزارع، يتهمونه بأنه المتسبب في ذلك.
لم تتوقف الأمطار لأسابيع. قال رجل مسن إنه منذ طفولته لم يشهد عامًا كهذا، وأشار إلى أن ما يحدث قد يكون سخطًا من الله، أنزل عليهم هذه الأمطار الغزيرة والفيضانات التي كادت تطمر نصف منازل القرية.
انتشرت أخبار عن انجراف جبل على إحدى القرى البعيدة، وقد تسبب ذلك في وفاة كثيرين.
قالت إحدى العجائز إن الأمطار تأتي كل عام في الصيف والخريف، وإن بعضها يكون بهذه الشدة، بينما يكون بعضها خفيفًا، مما يؤدي إلى جفاف المحاصيل.

دعا الحاج عبداللطيف، إمام الجامع، إلى ضرورة العودة إلى الله والاستغفار، رجاء أن يخفف عنهم ما نزل بهم. وذكّر القانطين بأهمية الحمد على النعم والنقم، واستحضر سنوات الجفاف التي مرّت بالمنطقة، حين ماتت الدواب من الجوع، وكادت المياه تجف من الوادي.

في زاوية أخرى، كانت الحياة في منزل حسن عبدالسميع تسير بهدوء. في إحدى المرات، كاد السقف أن ينهار عليه، لولا أنه تدارك الأمر، وشرع في ترميم المنزل قبل فوات الأوان. ساعدته قمر في جمع التراب والخشب من أطراف المزرعة. ومع الأيام، بدأت الأمطار تخف تدريجيًا.

كانت قمر تحب المطر كثيرًا. ذات مرة، رآها أحد القرويين تركض تحت زخّات المطر، تبسط ذراعيها كأنها تعانق السماء، والقطرات تنساب على وجهها وصدرها. راح ينشر الخبر بين الناس: "قمر بنت حسن عبدالسميع تتصرف بغرابة!" أعاد بعضهم اتهامها بالجنون، ورجّح آخرون أن للأمر علاقة بالسخط الذي يمرون به.

أخيرًا، توقفت الأمطار، وعادت الحياة تدب في جسد القرية. حصل بعض المنكوبين على تعويضات من ذوي المال والنفوذ، وأُعيد ترميم المنازل بشكل أفضل من السابق. اقترح حسن عبدالسميع، كعادته، مخططًا لتصريف مياه الأمطار في أحياء القرية.

عُبّدت الطرقات بالحجارة المربعة التي جُلبت من الوادي عبر العربات والجِمال. عادت الشمس تشرق، بعد أن غيبتها الغيوم عن القرويين قرابة

شهر. اكتست الأرض بخضرة لم يعهدها الناس من قبل، حتى نبت العشب على أكتاف الصخور. قُطعت بعض الأشجار التي أحرقتها الصواعق، وأُعيد استخدامها في بناء السقوف والأسيجة. وبالقرب من منزل قمر، أزهرت الشجرة أكثر من ذي قبل، وانتشرت رائحتها في أرجاء القرية.

في يوم هادئ، مرّ محمود بمنزل حسن عبدالسميع، ووقف كعادته وراء السور. من هناك، رآها جالسة تحت ظل الشجرة، تطرّز شالًا صغيرًا بالخرز الملون. كان وجهها نصف مغطّى، فلم يستطع تبيّنه بوضوح، لكنه بدا له كشعاعٍ انعكس من مرآة بعيدة.

لم تنتبه إليه. اقترب أكثر، حاول أن يُحدث صوتًا، مشى بخطوات مسموعة، تنحنح، ثم نادى:

"أستاذ حسن، هل أنت هنا؟"

غطّت وجهها، ووضعت الشال على الأرض، ثم وقفت بحذر كي لا تصطدم بأحد أغصان الشجرة:

"ليس في المنزل، ماذا تريد منه؟"

"أريد أن أكلمه في موضوع مهم."

"أظنه في المزرعة، اذهب وتأكد بنفسك."

سار محمود مبتعدًا، وبقيت تراقبه حتى اختفى تمامًا، ثم عادت إلى مكانها، تطرّز الخرز وتصوغ منه أشكالًا ونقوشًا.

وحين غاب ضوء النهار، وآوت الطيور إلى أعشاشها، وخفَتت الأصوات في

القرية، إلا من هدير رعدٍ بعيد، أعدّت قمر القهوة لوالدها، ووضعت طعام العشاء. أكلا حتى شبعا، ثم جاء وقت الأحاديث اليومية، حيث يشرح لها شيئًا جديدًا، أو يحكي قصة قديمة، أو يروي إحدى الأساطير؛ كحكايات اللصوص السبعة، وورقة الحنّة، والخالات اللواتي يسرقن مستقبل أبناء أزواجهن.

كانت تتوقع أن يحكي لها قصة الصبي الذي أنقذ أخته من الوأد وفرّ بها إلى بلاد بعيدة، لكنّها اقتربت منه أولًا وقالت:

"جاء اليوم محمود إلى هنا، وقال إنه يريدك في أمر مهم."

"هل قلتِ محمود؟"

"نعم، وقد أخبرته أنك في المزرعة، فقال إنه سيذهب إليك."

قال: "نعم، جاءني وأخبرني أنه يريد أن يكوّن عائلة ويعيش حياة هادئة."

سألته بدهشة: "وما علاقتك أنت؟"

قال: "يعتقد أن بإمكانه تحقيق ذلك، إذا وافقتُ أنا ووافقتِ أنتِ."

قالت بذهول: "أن أوافق على الزواج منه؟ وماذا قلت له؟"

أجاب: "في الحقيقة، هو شاب طيب وخدوم، لم يتأخر يومًا عن مساعدة أحد."

كان محمود، في أيام المطر، يساعد حسن عبدالسميع في كل شيء: في تثبيت التربة، وحفر السواقي، وتسييج الحقل بالخشب والأشجار كي لا يكون

عرضــة لتســلل الدواب... لكن كل ذلك كان يتم بصــمت، دون علم أحد، حتى والدته.

قال حسن: "لا أريد أن أبدو رجلًا يرمي ابنته لأول من يطلب يدها، لكني لم أقل إنه شاب صالح عبثًا."

نظرت إليه بصمت. بدا وجهه غائرًا في ضوءٍ خافت يوشك على الانطفاء.

قال لها: "أريدك أن تعلمي أنني ســأبقى إلى جانبك دائمًا، مهما كانت الظروف."

ثم رفع ذبالة الفانوس، فتوهّج الضوء، وامتلأت الغرفة دفئًا.

❊ ❊ ❊

# ٣٢

في أحد المجالس، قال أحد الشباب وهو يحشر أغصان القات في فمه:

"ابنة الأستاذ حسن جميلة خَلقًا وربما خُلقًا، لكن، حتى لو لم تبقَ في القرية فتاة سواها، فلن أتزوجها، ولو أعطوني وزنها ذهبًا."

ضحك الحاضرون في المجلس، وأردف الشاب:

"إن تزوجتها فسأجلب أعين الرجال والنساء. سيحسدني الجميع، وستتحول حياتي إلى جحيم. ثم إن الرجال سيعرفونني بها؛ فبدلًا من ذكر اسمي، سيقولون: زوج فلانة، لأنها أشهر مني. وأنا رجل أناني وغيور، ولا يمكنني أن أقبل بواقع كهذا!"

كان محمود يجلس في الزاوية، يراقبهم وهم يتناقلون الحديث عنها، كحزمة قش تتخاطفها الألسن. تحترق الحزمة حتى تصير رمادًا، ومع ذلك يصرّون على الاستمرار. يتطاير الرماد في الهواء، ويتلاشى بهدوء حتى يختفي.

في الأعراس، تجتمع نساء القرية في خيمة واحدة؛ بعضهن يصِرن صيّادات، وأخريات فريسة. يسمح الرجل لزوجته بالذهاب إلى العرس، فتعود إليه محمّلة بكل ما رأت، تصف النساء له، ولكن بشكل غير مباشر.

عاد أحد الرجال يومًا من العرس، فوجد زوجته توبخه:

"زوج فلانة يهتم بها أكثر مما تهتم بي! رأيتها اليوم ترتدي ثوبًا ورديًا

ومزين بالفصوص، عيناها مكحلتان، وصدرها مثقل بالمجوهرات!"

وأحيانًا تُضاف تفاصيل أخرى:

"فلانة ترقص أفضل مني بكثير. في الحقيقة، زوجها يوفر لها كل أصناف الطعام، لذلك صار جسدها أكثر ليونة، يناسب الرقص."

في إحدى المرات، تمازح رجلان في قرية مجاورة، مستندين إلى أوصاف زوجتيهما. قال أحدهما:

"أنا أعرف زوجتك، ترتدي سلسالًا طويلًا يصل إلى صدرها، وقميصًا هنديًا مخططًا بالأسود والأحمر."

لم يتوقف الأمر عند المزاح؛ فقد تطور إلى شجار، وانتهى بأن قتل أحدهما الآخر.

في هذه القرى، إذا سمع الرجل مديحًا لزوجته تسوء علاقته بها، حتى لو كانت زوجته عفيفة ومتدينة.

أما ابنة الأستاذ حسن، فالأمر مختلف. هي لا تعرف رجال القرية، لكن نساءها يعرفنها جيدًا. لم تتح لها فرصة الاختلاط بهن، ولم تتح لهن فرصة وصفها لآبائهن.

وكذلك والدها، لم يُتح له أن يسمع عن نساء القرية؛ فالنساء اللواتي عرفهن لا يتجاوزن في حضوره زوجته؛ اسمًا وشكلًا ومقامًا.

في أحد الأيام، سمع مديحًا لامرأة جديدة. كان جالسًا في ديوان الشيخ مع بعض الرجال، حين دخل رجل غريب، سلّم وجلس إلى جوار الشيخ. ناوله بعض القات، فأخذ يمضغه، ثم التقط قشة صغيرة من شجرة حنّة في الطريق، راح يخلل بها أسنانه، قبل أن يغرسها في حزامه.

اقترب من الشيخ، وقال:

"يا شيخ، تعلم أن زوجتي تركتني منذ عام، وتركت لي أطفالًا لا أعرف كيف أربيهم. والآن أريدك أن تخطب لي امرأة من القرية، وأنت وحدك القادر على مساعدتي."

كان الديوان مرتفعًا عن بيوت القرية، بحيث يمكن رؤية المنازل من النافذة. انعكست أشعة شمس الأصيل على مياه الوادي، وكانت الأشجار والزروع تتوهج بهدوء. الجو حار، ورائحة العرق تملأ الغرفة. وجه الرجل مبلل بالعرق، كأنه غُسل لتوّه.

قال الشيخ:

"ولا يهمك. هل في بالك امرأة بعينها؟"

مسح الرجل عرقه بشاله، وقد بدأ يتقاطر على صدره. ألقى نظرة سريعة على أسطح المنازل، ثم قال:

"نعم يا شيخ. أقبل بأي امرأة، حتى لو كانت مسنة. لكنني سمعت الناس يتحدثون عن فتاة من هذه القرية... ويبدو أن أحدًا لن يتقدم لها، لذلك توكلت على الله واخترتها."

قال الشيخ:

"من هذه المحظوظة؟ أنت صـــديق عزيز، ولا أرضـــى لك بخيار عشوائي."

قال الرجل:

"أظن أن الجميع يســمّيها ابنة عبدالســميع... أو حســن... لســت متأكدًا!"

❊ ❊ ❊

# ٣٣

بعد سـنواتٍ طويلة من مراقبته الشـجرة والأفق الممتد أمام عينيه، أدرك الحاج محمود أن حياته لم تكن بلا معنى، لكنها كانت باهتة إلى حدٍّ ما. هذا الإدراك المتأخر لحقيقة الأشياء أوقعه في دوامة من الندم.

كانت الأرض قد منحته كنوزها، وصـار له مضـمارٌ خاص يركض فيه، لكنه لم ينفكّ يتقاطع مع مسـارات الآخرين في القرية. ذلك التقاطع هو ما شـوّش أفكاره طويلًا، وجعل مصيره رهينًا بالواقع المحيط به.

وحين قرر أن يسـتقل بذاته، اكتشـف أنه تأخر كثيرًا. لم يعد يجد ما يسـتحق العناء، وكأن حياته ظلّت ناقصـة على نحوٍ غامض. كان يفتقد حلقاتٍ كثيرة لفهم المشـهد كاملًا. وظلّ لسـنوات يسـأل نفسـه: لماذا يهرب الإنسـان من خطيئة لم يقترفها؟

كانت تلك مرحلة مرّت من حياته. ورغم أنه لم يقتنع بما يدور حوله، عاش كما لو أنه راضٍ عن كل شـيء. لكن، حين تراكمت أعباء الواقع على كتفيه، أدرك أمرًا واحدًا:

"إن المطر الحقيقي يكون في الأرض، وما يأتي من السـماء ليس إلا ردّ فعل."

ضمن هذا الإطار، بدأت تتجلّى أمامه صور ما كان وما يمكن أن يكون.

في الحقيقة، يفرّ الإنسـان من أخطاء الآخرين أكثر مما يفرّ من أخطائه؛ يعرف

كيف يتوب، لكنه لا يعرف كيف يجعل الآخرين يفعلون ذلك.

ما زالت الأمطار تغسل الحقول وتروي الثمار، وما زالت الأزهار تستيقظ كل صباح محمّلة بالندى. وتحت الشجرة الوارفة، حيث اعتاد الجلوس، صار يرى تجاعيد الأرض والإنسان معًا.

يلتقي عاشقان أمامه، يتبادلان الحديث، ثم يفترقان بصمت. يترك لهما المساحة كاملة، قبل أن يرفع صوته بالغناء بلحن الحقول، ذلك اللحن الذي يردده القرويون وهم يعملون في مزارعهم. تطير العصافير، وتأتي أخرى؛ عصفوران يتبادلان الهمس، ثم يصغيان إلى الحاج محمود وهو يتحدث من نافذة بيته، يرتشف قهوته ببطء.

في القرية، لم يتغير شيء. ما زال الناس ينسجون الحكايات. تحذّر بعض العجائز أحفادهن من الاقتراب من الظل الطويل تحت الشجرة. تنتشر أخبار عن أصوات غريبة تُسمع من هناك، ويظن البعض أن المكان مسكون بالجن.

وحده محمود لم يسمع تلك الأصوات. كل ما كان يسمعه مجرد خطوات هادئة، متزنة... يعرفها منذ سنوات.

تعود به الذاكرة إلى ليلة هادئة من ليالي الخريف. كان القمر يتوسط السماء، والمياه تجري في الوادي إثر مطرٍ غزير هطل وقت الأصيل، بينما كانت الشمس لا تزال مشرقة.

يومها، كان محمود شابًا لم يتجاوز العشرين. أكثر ما علق في ذاكرته من ذلك

اليوم قوس قزح، امتد في الأفق خلف الشجرة.

كانت تجلس هناك بهدوء، تراقب الألوان السبعة المعلّقة في السماء، بينما كان هو يراقبها من نافذة بيته.

وفي الليلة نفسها، بعد أن انطفأ ضوء النهار بساعات، وتسلّل ضوء القمر، رأى كل شيء:

ضوء الفانوس وهو يخفت خلف ستارة النافذة...

النافذة وهي تنغلق برفق...

الباب وهو يُفتح...

ثم ظلَّا الرجل وابنته، وهما يخرجان ويغلقان العالم وراءهما بصمت.

كانا يسيران تحت ظلال الشجرة الوارفة، غامضين كحلمين. وحين تجاوزا الباب الخارجي، رآهما بوضوح. تعرّف عليهما، وهما يشقان الدجى تحت ضوء القمر.

في أيديهما حقيبتان صغيرتان، بالكاد تتسعان لشيء، وكانا يهرولان بصمتٍ في ليلٍ طويل، كأنهما يفرّان من عارٍ قديم يلاحقهما منذ الأزل... الأب وابنته.

كانت تلك، في الحقيقة، المرة الأولى في حياته التي يرى فيها قمرين يجتمعان في وقتٍ واحد:

قمرٌ في السماء...

وآخرُ على الأرض.

❊ ❊ ❊

أشربت

# وردة في الريح

في هذه الرواية تتشابك مصائر الآباء والأبناء والأحفاد مع مواسم المطر، ورائحة الطين، وأغاني الرعاة، وصمت الجبال. في قرية تبدو هادئة، تدور معارك خفية بين الحب والعُرف، وبين الحرية والخوف، وبين الإنسان والطبيعة التي تمنحه الحياة وتسلبه إياها في الوقت نفسه. من عبدالسميع اليتيم الذي حمل وحدته كزهرة، إلى حسن الذي عاد يبحث عن جذوره، وصولًا إلى قمر التي ترث الحكاية كما ترث اسمها من ضوء السماء، تتشكل سيرة عائلة كاملة لا تنفصل عن سيرة المكان. "وردة في الريح" لعبدالغني الأهدل رواية عن الذاكرة أكثر مما هي عن الماضي، وعن الإنسان الذي يقاوم النسيان كما تقاوم شجرةٌ عتيقة الرياح منذ عشرات السنين.



عبدالغني الأهدل: شاعر وقاص يمني. خريج قسم الصحافة والنشر والإلكتروني، جامعة صنعاء. لديه مجموعة قصصية قيد الإصدار بعنوان "مغامرات قصيري القامة" بالإضافة إلى رواية "وردة في الريح" إحدى الروايات الفائزة بجائزة السرد اليمني- حَزَاوي، الدورة الرابعة 2025.

YKB
بنك اليمن و الكويت يلهم المستقبل
YKB Inspiring the future
yk-bank.com

حزاوي
HAZAWI
جائزة السرد اليمني